

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

ديوان

قوافل الرحلى

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

ديوان

قوافل الرحلى

العبيكان

العبيكان
Obekan

نصير
أحمد ياسين

ديوان

قوافل الراحلين

شعر

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

نصوير

أحمد ياسين



نونير

@Ahmedyassin90

العبيكان
Obekan

ح) مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العشماوي، عبدالرحمن بن صالح

ديوان قوافل الراحلين./ عبدالرحمن بن صالح العشماوي . - الرياض،
١٤٢٨هـ

١٧٨ص: ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٨-٢٥٤-٥٤-٩٩٦٠

١- الشعر العربي - السعودية

أ- العنوان

١٤٢٨/ ٢١٥٠

ديوي ٨١١، ٩٥٣١

رقم الإيداع: ١٤٢٨/ ٢١٥٠

ردمك: ٨-٢٥٤-٥٤-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

حقوق الطباعة محفوظة للناسر

التوزيع: مكتبة العبيكان
Obelisk

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٥٦٠١٢٩

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

الناسر: مكتبة العبيكان
Obelisk للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية،
بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناسر.



قام بتصوير الكتاب
أحمد ياسين

نویٹر

@Ahmedyassin90

لصوير
أحمد ياسين
@Ahmedyassin90

فراقك لا يهون

الرياض ١٤/٢/١٤٢٥هـ

«رحل الصديق عبد القادر طاش عن الدنيا، وهل يهون رحيل
صديقٍ عن صديق؟»

إلى أين اتجـاهُك يا دليلُ

كأنك لست تفهم ما أقولُ

أراك إلى اليسار تُغِذُّ سَيْراً

وعن يَمَنَّاكَ تزدهر الحقولُ

لماذا ترتدي ليلاً بهيماً

وفي أعماقك الفجرُ الجميلُ؟

لماذا يا دليلُ سلكتُ درباً

يطيب لغير سالكه الوصولُ؟

أراك تُجمّد الإحساسَ حتى

تنكّر صاحبٌ وجفا خليلُ

هجرتك قاصداً ومضيتُ وحدي

وبعضُ البحرِ محمودٌ جميلُ

أَلَسْتَ تَرَى الْأَحَبَّةَ حِينَ غَابُوا
وَجَدَّ بِهِمْ عَنِ الدُّنْيَا الرَّحِيلُ؟
مَضَوْا عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا سِرَاعاً
فَمَا فِيهَا لِلْقِيَامِ سَبِيلُ
تَبِعُونِي مَطَايَا الْحُزَنِ عَنْهُمْ
كَمَا ابْتَعَدَ الصَّدَى عَمَّا نَقُولُ
وَتُدْنِيَنِي خِيُولُ الصَّبْرِ مِنْهُمْ
وَكَمْ تُدْنِي مِنْ الْحُلُمِ الْخِيُولُ
وَمَا زَلْنَا نَرَى فِي كُلِّ حِينٍ
لَنَا قَمَراً يَغِيَّبُهُ الْأَفُولُ
نَعَى النَّاعِي أَخاً بَرّاً كَرِيماً
فَوَرَقَاءُ الْوَدَاعِ لَهَا هَدِيلُ
بَكَفَكَ أَيُّهَا النَّاعِي حُسَامُ
وَرُمَحٌ مِنْ جَوَانِحِنَا بَلِيلُ
أَتَحْسَبُنِي نَسِيتُ شَفَافَ قَلْبِي
وَنَارَ الشَّقْوِ لَيْسَ لَهَا مَثِيلُ؟
نَعَيْتَ أَخاً إِذَا ذَكَرَ التَّأَخِي
فَصِدْقُ إِخَائِهِ الطَّرْفُ الْأَصِيلُ

أعبدَ القادرِ اضطربتَ حروفي
وسمَّرتَ عينَ قافيتي الذُّهولُ
وألزمتني التوجُّسُ بابَ صممتي
فصممتي مثلَ آلامي ثَقِيلُ
وثارت زَفرةٌ من بعد أخرى
ومدَّ حبَّاله الليلُ الطويلُ
لكَ الخلقُ النبيلُ به شهدنا
وكم سيسرُّكَ الخلقُ النبيلُ
أرى أرقامَ هاتفك استحوالتُ
سيوفاً في دمي منها صَليلاً
تُذكِّرُ حينما أرنو إليها
بأنَّ سَماعَ صوتك مستحيلُ
أعبدَ القادرِ، الدنيا غُثاءُ
تُبَعِّدُه عن المجرى السُّيولُ
فلا جَزَعٌ على ما فات منها
أيجزَعُ مَنْ بخالقه يَصُولُ
وما نفعُ الغُثاءِ، إذا دعانا
إلى النَّبَعِ النقيِّ السَّلسبيلُ؟

أخي وأخا الوفاءِ يَسُرُّ قلبي
وفاءً عن وفائك لا يَمِيلُ
ويرفعني الرِّضا بقضاءِ ربي
فما لي عن ذُؤابتِه نُزولُ
فراقُكَ لا يَهُونُ على محبِّ
رأى أطيافَ صاحبه تَزولُ
ولولا الصَّبْرُ ما سارتْ خُطانا
ولا طابَ المَبِيتُ ولا المَقِيلُ
ولا احتملتْ مواجِعَها قلوبُ
ولا ابتهجتْ بحكمتِها عقولُ
أخي وأخا الحروفِ البيضِ إنَّا
وإن كانت مدامعُنا تَسِيلُ
لَنَحْتَ سِبُّ الأَحِبَّةِ عندَ ربِّ
جَمِيعُ الكائناتِ له تَوُولُ
لنا في رَحْمَةِ المولى رجاءُ
به في كلِّ ناحِيَةٍ نَجُولُ

مات ابنُ بازٍ.....؟

الرياض ٢٩/١/١٤٢٠هـ

للشعر بعدك أن يظل حزيناً
ولنبض قلبي أن يذوب حنيناً
ولكل قافية خبأت حروفها
أن تفتح الباب الذي يُشجينا
ولصوت حادي الشعر بعدك أن يرى
منا الوفاء لأنه يحدونا
يا وارثاً للأنبياء، وإنما
ورث الهدى والعلم والتمكينا
ورث العقيدة وهي أعظم ثروة
وأعز مال مورث يُغنيننا
يا راحلاً عنا كأنك لم تكن
فينا تحدثنا بما يُنجينا
لما نعاك إلي صوت مُحدثي
أحسست أن الشك صار يقينا

ورأيتُ أثبتَ ما أمامي دائراً
وسمعتُ أصواتَ الشُّداةِ طَنِيناً
وشعرتُ أن الحزن صار يحيط بي
من كلِّ ناحيةٍ، وصرتُ رهيناً
هل يدرك النّاعي حقيقةَ مَنْ نَعَى
وبأيِّ سهمٍ في الفؤاد رُمِينا؟
وبأيِّ فاجعةٍ أصيبتُ أمّتي
وبأيِّ أصناف البلاءِ بُلِينا؟
يا أيُّها النّاعي جَرَحْتَ قلوبنا
وأثرتَ فيها لوعةً وأنينا
ماتَ ابنُ بازٍ، يا لها من أحرفٍ
وهّاجةٍ بلهيبهنَّ صُلِينا
ماتَ ابنُ بازٍ، هل علمتَ بما حوتْ
هذي الحروفُ وما تُحرِّكُ فينا؟
يا أيُّها النّاعي رويدك، إنَّ مَنْ
تنعي، أبُّ بحنانه يسقينا
أولم يكن نوراً يضيءُ عقولنا
والى الهدايةِ والتُّقى يدعونا؟

أُتْرَاكَ لَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ وَفَااتَهُ

رُزْءٌ وَأَنَّ وَدَاعَهُ يُشَقِّقِينَا؟

أَنْسَيْتَ أَنَّ وَفَاةَ عَالَمِ أُمَّةٍ

حَدَّثَ بِأَسْهَمِ بُؤْسِهِ يَرْمِينَا؟



يَا خَادِمَ الْحَرَمِينَ شُكْرًا صَادِقًا

فَلَقَدْ رَأَيْنَا كُلَّ مَا يُرْضِينَا

أَسْرَجْتَ خَيْلًا لِلْوَفَاءِ كَرِيمَةً

مَا زَالَ لَحْنُ صَهِيلِهَا يُغْرِينَا

شَيَّعْتَ عَالِمَنَا الْجَلِيلَ وَإِنَّمَا

شَيَّعْتَ عَقْلًا رَاجِحًا وَرَزِينَا

شَيَّعْتَ فِي يَوْمِ الْفَضِيلَةِ وَالتَّقَى

شَيْخًا بَنَى لِلْمَكْرَمَاتِ حَصُونَا

لَمَّا تَقَدَّمْتَ الْجَمُوعَ مُودِّعًا

رَفَعَ التَّلَاحِمُ وَالْوَفَاءُ جَبِينَا

وَرَسَمْتَ لِلْأَجْيَالِ أَجْمَلَ صُورَةٍ

سَتُظَلُّ مِنْ أَمْجَادِنَا تُدْنِينَا

كَرَّمَتْ فِيهَا الْعِلْمَ، عِلْمَ شَرِيعَةٍ
 تَمْحُو الضَّلَالَ وَتُرْشِدُ الْفَاوِينَا
 فَلَتَشْهَدِ الدُّنْيَا حَقِيقَةَ مَا جَرَى
 إِنَّ الْحَقَائِقَ تَهْزِمُ التَّخْمِينَا
 لَكَأَنِّي بِوَفَاةِ شَيْخِ شِيُوخِنَا
 صَارَتْ مِثَالاً لِلْوَفَاءِ مُبِينَا
 خَرَجَتْ جَمُوعُ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْلُ
 عَنْ مَشْهَدٍ جَعَلَ الشُّمَالَ يَمِينَا
 فِي مَسْجِدِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَهَلْ رَأَتْ
 عَيْنٌ مَكَاناً مِثْلَهُ مَأْمُونَا
 لَمَّا تَلَاقَى الْمُسْلِمُونَ هُنَاكَ فِي
 أَزْكَى وَأَطْهَرَ بُقْعَةٍ بَاكِينَا
 وَتَزَاحَمَتْ أَفْوَاجُهُمْ، وَكَأَنَّهُمْ
 يَرُدُّونَ حَوْضاً مِنْهُ يَسْتَسْقُونَ
 شَهِدَتْ بِقَاعُ الْأَرْضِ صُورَةَ أُمَّةٍ
 لَا تَرْضَى غَيْرَ الشَّرِيعَةِ دِينَا
 هُوَ دِينُنَا نَبَّعُ الْفَضَائِلَ تَرْتَوِي
 مِنْهُ الْقُلُوبُ وَمَاؤُهُ يَشْفِينَا

وبه يفرّط طائر الأمن الذي
 من كلّ بغّي مكابرٍ يحمينا
 وبه نخوض محيط كلّ رزيةٍ
 فهو السفّين لمن يريد سفيننا
 يا شيخنا ودّعنا، وقلوبنا
 تُهدي إليك من الوفاء فنونا
 ودّعنا دنيانا بجسمك بعدما
 ودّعناها بالقلب منك سنينا
 وزهدت فيها وهي ذات تبرّجٍ
 جعلت محبّ دلالها مفتونا
 عزّيتُ فيك ولاة أمر بلادنا
 ورجالها وبناتها وبنينا
 عزّيتُ فيك العلم والعلماء قد
 منحوك حبّاً في القلوب ثمينا
 عزّيتُ فيك المسلمين جميعهم
 فقدوا بفقدك مُرشداً ومُعينا
 يا ربّ لطفك صار فيضُ جراحنا
 نَهراً من الدّمع الغزيرِ سخينا

إنا برغم الحزن نحزم أمرنا
بك يا عظيم الشأن يا هادينا
إنا إليك لراجعون، وإننا
بقضاء عدلك في العباد راضينا
إن مات عالمنا فإننا لم نزل
فيما تعوضنا به راجينا
سلمت بلاد الخير من آلامها
ورعى المهيمن حظها الميمونا



رحلة بين بوابتين

الطائف ١٢/٥/١٤٢٠هـ

توقيع شعري على ورقة الوداع
يا رحلة الأيام، وَقَعَ خُطَانَا
لغة تُحَدِّثُنَا بعمق أسَانَا
بَيْنَا طُلُوعُ الشَّمْسِ يَنْشُرُ نُورَهَا
فِينَا، إِذَا بَغْرُوبَهَا يَفْشَانَا
وكَأَنَّهَا لَمْ تُبَدِّ صَفْحَةً وَجْهَهَا
لِلنَّاضِرِينَ، وَتَمَلُّ الْأَجْفَانَا
مَنْ أَيْنَ أَبْدَأُ وَصَفَّ مَا يَجْرِي لَنَا
وَالْوَصْفُ يَعْجِزُ أَنْ يَنَالَ مَدَانَا
مِيلَادُنَا بَابُ الدُّخُولِ، وَمَوْتُنَا
بَابُ الْخُرُوجِ بِنَا إِلَى أَخْرَانَا
بَوَابَتَانِ تَقْرِيَانِ فِرَاقَنَا
وَتَبْعَانِ مُرَادَنَا وَمُنَانَا
وَعَلَيْهِمَا خَفَقَتْ شَفَافُ قُلُوبِنَا
أَمَلًا وَخَوْفًا يُشْعَلُ الْخَفَقَانَا

بَوَابَتَانِ، غُدُونَا، وَرَوَا حُنَا
مَا زَالِ بَيْنَهُمَا يَهْزُ رُؤَانَا
أُولَاهُمَا تُثْرِي ابْتِهَاجَ قُلُوبِنَا
وَتُثَوِّرُ مِنْ أَخْرَاهُمَا شُكُونَا
وَالْمَوْتُ بَيْنَهُمَا يَمْدُ حَبَالِهِ
وَيُحَرِّكُ الْآلَامَ وَالْأَشْجَانَا
وَيُفَرِّقُ الْأَحْبَابَ بَعْدَ تَجْمُعِ
وَيُشَتِّتُ الْأَصْحَابَ وَالْأَخْدَانَا
وَيُجَرِّدُ الْأَغْصَانِ مِنْ أَوْرَاقِهَا
إِنَّ الْخَرِيفَ يُجَرِّدُ الْأَغْصَانَا
قَالَتْ مُحَدِّثَتِي: أَرَاكَ تُشِيرُنِي
بِحُرُوفِ شَعْرِكَ، تُلْهِبُ الْوُجْدَانَا
فَكَأَنَّ أَحْرَفَكَ الَّتِي تُشَدُّ بِهَا
لَا تَعْرِفُ الْأَلْحَانَ وَالْأَوْزَانَا
مَا لِي أَرَاهَا كَالسُّهَامِ تُصِيبُنِي
فِي الْقَلْبِ، تُشْعِلُ فِي دَمِي النَّيْرَانَا
فَأَجَبْتُهَا: لَا تَعْذِلْنِي، إِنِّي
وَاجِهَةٌ مِنْ لَهَبِ الْأَسَى بِرُكْنَانَا

ورأيت من عبر الحياةِ ووعظها
ما لو رأى الحجر الأصمُّ لَلأنا
أوما ترين الموتَ يرسم بيننا
صُوراً تغذي جرحنا وأسانا
ويظلُّ يحمل كلَّ يومٍ صاحباً
كُنّا نراه على الرضى ويرانا
فكأنه ما مدَّ كفَّ مُصافحٍ
يوم اللقاءِ، وعانق الإخوانا
للموت عينٌ يا مُحدثتي ترى
ما لا يراه الناسُ من دنيانا
هو لا يفرِّق بين شيخٍ أو فتى
أبدأ، ولا يتخيَّر الألوانا
تمضي بنا نحو المعاد ركابُهُ
لنرى الصراطِ هناك والميزانا
فكبيرنا كصغيرنا، وغنيُّنا
كفقيرنا، والموت لا ينسانا
والآلةُ الحَدباءُ عَرشُ رحيلنا
واللَّحدُ في عمق الثرى مثوانا

لا تعجبي، إن قلتُ إن قصيدتي
 تبكي ويبقى طرفُها سهرانا
 فقصيدتي مني؛ تُعاني كلما
 تعب الفؤاد من الأنين وعانى
 وإذا شدوتُ شدت، وتبكي حينما
 أبكي، وأطلق للجفون عنانا
 ما بين جملة «يحفظُ الله الفتى»
 فينا «ويرحمه» نرى البرهانا
 كلُّ العناوين انمَحَتْ لما غدا
 صمَّتْ المقابر للفتى عنوانا
 وتوقفتْ عنه الرسائلُ كلها
 إلا رسائل مَنْ دعا الرِّحمانا
 إن الدعاء رسالةٌ موصولةٌ
 تُهدي لمن بعثتْ إليه أمانا
 وإذا توجَّهتْ القلوبُ لربِّها
 وجدتْ برغم جراحها اطمئنانا
 مات ابن آدم، يا لها من عبْرَةٍ
 تُحيي القلوب، وتوقظ الأذهانا

حملته أيدي مَنْ يحبُّ إلى الثرى
 من بعد أن نَسَجَتْ له الأكفانا
 ومضوا سِرَاعاً يَلْهَثُونَ لدفنه
 فالموتُ صَيَّرَ دفنَه إحسانا
 لو قيل للمتعلِّقين بحبِّه
 هيَّا ادخلوا في قبره عِرْفَانا
 لتغيَّرت قَسَمَاتُهُم واستفظعوا
 هذا الحديثُ، وأعلنوا النُّكرانا
 كان الحنانَ عليه قربُ مكانه
 واليومَ صار البعدُ عنه حنانا
 مات ابنُ آدمَ، فالحياة قصيرةٌ
 تطوي بكفٍ رحيلها الأزمانا
 وتقيم فينا بالمصائب واعظاً
 أنْدَى وأبلغَ منطقاً ولساناً
 مَنْ ماتَ منَّا فهو سابقنا الذي
 لقيَ النهايةَ قبل أنْ تلقانا
 أنهى عبورَ الجسر قبل عبورنا
 وطوى البساطَ، وغادر الميْدانا

ومضى إلى ربِّ كريمٍ قادرٍ

يعطي الجزيل، ويمنح الففرانا

ويُقِيل عَثْرَةَ مَنْ يلوذ ببابه

متعلِّقاً، وينيلُه الإحسانا

ماتَ الفقير وفقْرُه أهدوثةٌ

جعلتْ له في الصابرين مكانا

ماتَ القنيُّ وللمباهجِ حَوْلُه

زَهْوٌ يثير ربيعَه القَيْنانا

لو صُدَّ موتٌ في الحياةِ عن امرئٍ

بالجَاهِ والعيشِ الرغيدِ لكانا

ماتَ الجميعُ، وشيَّعتَهُمُ أَعْيُنُ

تبكي، وأفئدةٌ تئنُّ حَزَانِي



لا تعجبي - يا من تعاتبني - إذا

أبصرتِ غيثَ مدامعي هَتَانَا

فلقد رأيتُ من الحياةِ وبؤسها

وعنائها ما يُلْهَبُ الوجدانا

كُرّةٌ من التَّلَجِ اختفتْ لما بدا
 وجهُ الصُّبّاحِ وزادها لمعاناً
 إنّنا لنقرأ في حكايةِ موتنا
 عِبَرًا تُقرِّبُنا إلى مولانا
 لغةُ المماتِ فصيحَةٌ، لكنّما
 لهُوَ الحَيَاةُ، يُغلقُ الأذانا



على صدى الفاجعة

عزاءٌ ونداء:

أدْرِهَا على ما تشتهيهِ المسامعُ

قصائدٌ، فيها للوفاء منابعُ

أدْرِهَا وسيرَ مركبِ الشعر، نحوها

رسولاً يُعزِّي مَنْ دَهَتْهُ الفواجعُ

رسولاً أميناً طيبَ القلب صادقاً

يروحُ عَمَّنْ أَرَقَّتْهُ المواجهُ

يُعزِّي، ويُهْدِي للحزين حَيَّةً

عسى الصَّبْرُ من بعد الأنين يُطاوعُ

عزاءٌ إلى مَنْ أَشْعَلَ الرَّعْبُ لَيْلَهُ

وثارتْ بما لا يشتهيهِ الزَّوابعُ

إلى كُلِّ قلبٍ لَوَّعَتْهُ جراحُه

إلى كُلِّ عينٍ أَغْرَقَتْهَا المدامعُ

إلى كُلِّ طفلٍ أَلْجَمَ الرَّعْبُ نُطْقَه

رأى أُمَّه تحت الرُّكَّام تُنازعُ

إلى كلّ أمّ هاجم الموتُ طفلَها
 وعانى خروجَ الرُّوح وهي تُطالعُ
 إلى كلّ ذي قلبٍ رأى مَنْ يحبُّه
 يقاوم نيرانَ الأسى ويُصارعُ
 إلى كلّ ذي دارٍ رأى سَقْفَ داره
 تهاوى، ومَنْ في الدَّار غافٍ وهاجعُ
 عزاءٌ إلى مَنْ بات في الليل آمناً
 وهزَّتْه في جُنح الظلام المِصارعُ
 فكم هونَتْ وقع المِصاب عبارةُ
 كذاك عزاءُ الناس للناس نافعُ
 أدْرِها قوافي الشعر، ربُّ قصيدةٍ
 يقوم لها فجرٌ من الخير ساطعُ
 أدْرِها، وقلِّ للغافلين تنبُّهوا
 فقد ترتدي ثوبَ الجفافِ المَرابعُ
 وقلِّ للذي يمشي على ماءٍ وجهه
 ومَنْ عَقَلُه بين الأباطيل ضائعُ
 أترجو حياةً تستقرُّ بأمنها
 وأنفكَ مجدوعٌ، وسيفكَ جادعٌ؟!

إِذَا زُرَعَتْ أَرْضٌ بِالْفَاحِ غَادِرٍ
 فَمَنْ أَيْنَ يَجْنِي مَا يُحِبُّ الْمَزَارِعُ؟
 أَلَسْتَ تَرَى حَرْبَ الْبُغَاةِ، تَشْنُهَا
 وَجُوهٌ، عَلَيْهَا مِنْ هَوَاهَا بَرَاقِعُ
 يَحْرُكُهَا قَوْمٌ، كَأَنَّ قُلُوبَهُمْ
 جَلَامِيدُ صَخَرٍ، حَوْلَهُنَّ بَلَاقِعُ
 أَلَسْتَ تَرَى حَرْبَ الْبُغَاةِ بِنَارِهَا
 تَلْظَتْ بِيُوتَ هُدْمَتْ وَمَصَانِعُ؟
 وَذَاقَتْ أَسَاهَا فِي بِلَادٍ مَسَاجِدُ
 تَهَاوَتْ عَلَى عُبَادِهَا، وَصَوَامِعُ
 وَمَاجَتْ بِمَا شَنَّتْهُ، دُورُ رِعَايَةِ
 وَضَاقَتْ بِأَشْلَاءِ الضَّحَايَا الشَّوَارِعُ
 أَدْرَهَا، وَقَلَ لِلْمَسْتَبِدِّ بِرَأْيِهِ
 وَمَنْ تَتَلَطَّى فِي يَدَيْهِ الْأَصَابِعُ:
 كَأَنِّي بِهَذَا الْعَصْرِ يَشْقَى بِنَفْسِهِ
 وَقَدْ صَارَ فِي دَرْبِ الضَّلَالِ يُسَارِعُ
 إِذَا نُقِلَتْ حَرْبٌ إِلَى دَارٍ آمِنٍ
 فَمَائِدُهَا الشَّيْطَانُ، وَالظُّلْمُ دَافِعُ

وللحربِ ميدانٌ يخوضُ غمارَها
 شجاعٌ يلاقي المعتدي ويقارعُ
 يصدُّ بها بغيًّا ويردع ظالماً
 وعن دينه والعرض فيها يدافعُ
 فما لبيوت الناس والحرب، إنَّما
 يشنُّ عليها الحربَ باغٍ وقاطعُ؟
 وما البغي والتدمير إلا جريمةٌ
 تحرّمها في العالمين الشرائعُ
 أقول لمن صاغوا قوانين عصرنا:
 أليسَ لها منكم نصيرٌ وشافعُ
 إذا صار مَنْ يرعى القوانينَ ظالماً
 فَمَنْ أين تُجنّى للعباد المنافعُ



وقفه أمام عام الحزن

الرياض ٢٧/٦/١٤٢٠هـ

«دمعة شعرية على بوابة وداع» نجم الحديث النبوي» الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - يرحمه الله.

لَمَنْ يَتَمَدَّقُ النَّفْسَ

وَمَنْ إِذَا يَكْتُبُ الْقَلَمُ؟!

وَمَنْ تَرْتِي قَصَائِدُنَا

وَكَيْفَ يُصَوِّرُ الْأَلَمُ؟

إِذَا كَانَ الْأَسَى لَهَبًا

فَقُلْ لِي: كَيْفَ ابْتَسَمُ؟

وَقُلْ لِي: كَيْفَ يَحْمِلُنِي

إِلَى آفَاقِهِ الْحُلُمُ؟

إِذَا كَانَتْ مَوَاجِعُنَا

كَمِثْلِ النَّارِ تَضْطَرُّ

فَقُلْ لِي: كَيْفَ أُطْفِئُهَا

وَمَوْجُ الْحُزْنِ يَلْتَطِمُ؟!

أَعَامَ الْحُزْنَ، قَدْ كَثُرَتْ
عَلَيْنَا هَذِهِ التُّلَمُ
كَأَنَّكَ قَدْ وَعَدْتَ الْمَوْتَ
تَ وَعَدًا لَيْسَ يَنْفُصُ
فَأَنْتَ تَفِي بِوَعْدِكَ، وَهُوَ يَمْضِي - مَسْرِعًا - بِهِمْ
أَلَسْتَ تَرَى رِكَابَ الْمَوْتِ
تِ بِالْأَحْبَابِ تَنْصَرِمُ؟
أَلَسْتَ تَرَى حَصَافَةَ الْعِلْمِ - رَأْيَ الْعَيْنِ - تَنْهَضُ
نَوْدَعُهَا هَاهُنَا عَالِمًا
وَيَرْحَلُ مِنْ هَاهُنَا عَالِمٌ
جَاهِزًا بِالْعُلُومِ مَضُوا
فَدَمَعُ الْعَيْنِ يَنْسَجِمُ
مَضُوا - وَجَمِيعُ مَنْ وَرَدُوا
مَنَاهَلَ عِلْمِهِمْ - وَجَمَعُوا
تَكَادُ آلَةُ الْحَدِّبَا
ءُ، وَالْأَقْدَامُ تَزْدَحِمُ

تطيرهم إلى الأعلى

وبالجـوزاءِ تلتـحمُ

أكادُ أقول: إنَّ الشُّعرَ

لم يسألْ له نفمُ

وإنَّ عقاربَ الساعا

تِ لم يُحَسِّبْ لها رقمُ

تشابهتِ البدايةُ والنهـايةُ واختـفتِ «إِرمُ»

ونفدَ سَدُّ مَـأرِبَ كلِّ

مـا نادى به «العـَـرِمُ»

هوى نجمِ الحـديثِ كـما

هوتَ من قـبله قـمَمُ

وكم رَجُلٍ تموتُ بـمو

تِه الأجيـالُ والأُمَمُ

أناصرَ سُنَّةِ المـختـا

رِ، دَرَبُكَ قَصْدُهُ أَمَمُ

رفعت لواءَ سُنَّتِنَا

ولم تَقْصُرْ بِكَ الهِمَمُ

قَضَيْتَ الْعَمَرَ فِي عَمَلٍ

بِهِ الْأَوْقَاتُ تُغْفَنُكُمْ

خَدَمْتَ حَدِيثَ خَيْرِ النَّاسِ

سِ، لَمْ تَسْأَمْ كَمَنْ سَأَمُوا

حَدِيثُ الْمُصْطَفَى شُرِّحَتْ

بِهِ الْآيَاتُ وَالْحِكْمُ

فَنَحْنُ بِنُورِ سُنَّتِهِ

إِلَى الْقُرْآنِ نَحْنُ نَحْتَكُمُ

خَدَمْتَ حَدِيثَ خَيْرِ النَّاسِ

سِ، لَمْ تُنْصِتْ لِمَنْ وَهَمُوا

وَلَمْ تُشْفَلْ بِمَا نَشَرُوا

مِنَ الْأَهْوَاءِ أَوْ نَظَمُوا

سَلِمْتَ بِعِلْمِكَ الصَّافِي

مِنَ «الْبَلَوَى» وَمَا سَلَمُوا

غَنِمْتَ بِمَا اتَّجَهَتْ لَهُ

وَمَنْ نَشَرُوا الْهَدَى غَنَمُوا

وَمَنْ جَعَلَ الْعُلَا هَدَفًا

فَلَنْ يَنْتَابَهُ السُّوَامُ

أَنَاصِرَ سَنَةِ الْهَادِي

سَقَاكَ الْهَاطِلُ الْعَمَمُ

بَكَتْكَ الشَّوَامُ — وَيَحَ الشَّوَا

م — أَخَفَّتْ بَدْرَهَا الظُّلَمُ

وَحَيِّمٌ فَوْقَ «أَرْدُنْهَا»

سَحَابٌ، غَيَّثُهُ الْأَلَمُ

بَكَتْ «الْبَانِيَا» لَعَبَتْ

بِهَا أَحْقَادُ مَنْ ظَلَمُوا

وَعَشَّشَ فِي مَرَابِعِهَا

بُفَاكُ الطَّيْرِ وَالرَّخْمُ

بَكَكَ الْمَسْجِدُ الْقُدْسِيُّ

وَالْمَدَنِيُّ، وَالْحَا — رَمَ

بَكَتْكَ سِلَاسِلُ الْكُتُبِ الَّتِي كَالدُّرِّ، تَنْتَظِمُ

فَسِلَاسِلَةُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي صَحَّتْ لِمَنْ فَهَمُوا

وسلسلة الأحاديث التي ضُفَّتْ لمن وهموا
وتحقيق الأسانيد التي
ثبتت لمن علموا
علوم كلُّها شَرَفٌ
تعرُّبُها القِيَمُ
أناصر سنَّة الهادي
لنا من ديننا رَحِمُ
لقِيَّتْكَ دُونَ أن الْقَا
كَ، تُورِق بيننا الشُّيَمُ
لقِيَّتْكَ فِي ظِلَالِ الْعِلْمِ
وَالْأَزْهَارُ تَبَتَّ سِيمُ
تَجَمُّعُنَا مَحَبَّةً خَيْرِ
مَنْ سَارَتْ بِهِ قَدَمُ
خَدَمَتْ جَلالَ سَنَّتِهِ
فِيَا طُوبَى لِمَنْ خَدَمُوا
رَحَلَتْ رَحِيلَ مَنْ أَخَذُوا
مِنَ الْأَمْجَادِ وَاقْتَسَمُوا

كأنك لم تُدرِ قلماً
 ولم يُجّرِ الحديثُ فمُ
 حزنًا؟ كيف لم نحزنْ
 وشريانُ القلوبِ دمُ
 ولكننا برغم الحزنِ
 لم يشطح بنا الكلامُ
 نعبّر عن مَواجهنا
 وبالإسـلام نلتـزمُ
 ولولا أن أنفُسنا
 بربِّ الكون تعـتـصـمُ
 لما جتْ بالأسى وغـدتْ
 أمام الحزن تنهـزمُ



تلويحةُ وداعٍ لشيخ الهند

١٤٢٠هـ

«مع الدعاء بالمغفرة والرحمة لأبي الحسن الندوي»

قوافي الشعر تختصر البلاد

وتجتازُ المفاوِزَ والوهادا

تزور الشام وهي بأرض نجدٍ

وتُسرج نحو بغداد الجوادا

تصافح باليمينِ ربّي دمشقٍ

وتمسك باليد الأخرى السّوادا

وفي أرض الكنانة للـقوافي

مصادرُ تمنح الحسنَ الجمادا

من البيتِ الحرام تمُدُّ كفّاً

إلى الأقصى تبادله الودادا

وتشرب ماءَ زمزم ثم تمضي

وقد أخذت من القرآن زادا

تسافر بي إلى الآفاق حتى

تقربُ ما شكا منها ابتعادا

يُظَلُّ تَأَلَّقُ الْأَشْوَاقُ فِيهَا
يَبْلُغُهَا مِنْ الْحُلُمِ الْمُرَادَا
قَوَافِي الشَّعْرِ تَفْسِلُ رَاحَتِيهَا
بِمَاءِ النَّيْلِ تَسْأَلُهُ الْمِدَادَا
وَتَجْلِبُّ مِنْ رُبُوعِ الْهِنْدِ عَوْدَاً
وَتَلْقَى فِي خُرَاسَانَ امْتِدَادَا
قَوَافِي الشَّعْرِ فِي دَمِهَا حَنِينٌ
تَدْفُقُ مِنْ دَمِي وَالْيَّ عَمَادَا
أَضَاءَتْ بِهَا دُرُوبَ الْوَعْيِ حَتَّى
رَأَيْتُ لَهْمَتِي فِيهَا اتِّقَادَا
عَبَّرْتُ بِهَا مَحِيطَ الْهِنْدِ لَمَّا
رَأَيْتُ وَرَاءَهُ قَصراً مُشَادَا
وَأَبْصَرْتُ الْمَآذِنَ شَامِخَاتٍ
تَذْكُرُ مَنْ تَفَافِلُ أَوْ تَمَادِي
وَتُنْشِرُ فِي سَمَاءِ الْهِنْدِ ذِكْراً
وَتُسَبِّحُهَا تُرِيحُ بِهِ الْعِبَادَا
وَتُسَمِّعُنِي صَدَى كَلِمَاتِ شَيْخٍ
تُذِيبُ عِنَادَ مَنْ أَبْدَى الْعِنَادَا

تحرّك بالهدوء شعورَ فظٍّ
 فيُعلن بعد شدّته انقيادا
 لمن هذا الحديثُ يفيضُ حبّاً
 وتستهوِي بلاغته الفؤادا؟
 لمن؟ فأجابني صوتٌ حزينٌ
 يُخافُني ويرتعد ارتعادا
 لقد مات المحدث، قلتُ: ماذا؟
 ففمّمَمَ بالكلام وما أعبادا
 سكّت سُكُوتَ من يخشى جواباً
 يزيد حبالَ حسرته انقيادا
 وأدركتُ الحقيقة، ربّ صمتٍ
 - إذا ما ألجمَ الراوي - أفادا
 مضى بالشيخ مركبُهُ وولّى
 إلى الأخرى، وبلغه المَعادا
 قوافلُ مَنْ نحبُّ مضت سِراعاً
 وآثرتِ التَّنْقُلَ والبُـمـادا
 أشيخَ الهندِ، هذا عامُ حزنٍ
 تَزَلْزَلُ فيه عالمنا ومادا

تساوت فيه أشهرنا فصرنا
نرى صفراً ونحسبه جمادى
تساقطت الكواكب فيه حتى
تشعب ليل حسرتنا وزادا
رُزئتنا، قبل موتك بابن بازٍ
وأجرى الله فينا ما أراد
وكان البدر حين هوى، تهاوت
كواكب علمنا، والحزن سادا
فأمسينا كما يمسي جريحٌ
تطاول ليله وشكا السهادا
سهرنا، كيف ترقد عينُ باكٍ
وموجُ الدمع يجتاح الرقادا؟
أشيخ الهند، ما ودعتَ هنداً
ولا سُمدي، ولم تُكِلْ سعادا
لقد أكلت أمّتنا، ولولا
عقيدتها لأعلنت الحِدادا
بكتك لأن سَعَيْكَ سَعَى شَهْمٍ
بحمل أمانة الإصلاح آدا

لأنّك يا أبا حــســنٍ وفـيٌّ
زَرَعْتَ لها وأحسنتَ الحصادا
هي الأفعالُ ترفعُ شأنَ حُرٍّ
إذا حَسُنَتْ، وتمنحُه اعتدادا
ولولا ما رأى من صدقِ عزمٍ
مــمــا ويةٌ، لما ولى زيادا
لقد أعلنَتْها والأرضُ حُبلى
بباطلها الذي احتشد احتشادا
بأنَّ خسارةَ الدنيا انحطاطٌ
لأهل الدين، أورثها الكسادا
وأشعل في نواحيها لهيباً
من الشهواتِ عودها الفسادا
تجاوزتَ المحيطَ تبتُّ وعياً
وتطردُّ عن روابينا الجرّادا
وأدركتَ الصُّراعَ صراعَ كفرٍ
وإيمانٍ، فأطلقتَ الجيادا
شَدَدْتَ إلى الحجازِ رحالَ وعيٍ
فَدَحَّتْ به لهمَّتْنا الزُّنادا

وسرت إلى المدينة باشتياقٍ
فأسلس ركبك الساري القيادا
نظرت إلى جـزيرتنا بعينٍ
تري فيها المنابع والمهادا
أشيخ الهند ما سافرت إلا
وقد أرسيت في الهند العمادا
لندوتكم مشاعل من علومٍ
تضيء بنور حكمتها البلادا
وتمنحكم علوماً نافعاتٍ
بها تلقون من عوز سيدادا
تموج معابد الهندوس كفرأ
تزيد به ارتكاساً وارتدادا
وانتم ترفعون شعار دينٍ
وتعتقدون منهجه اعتقادا
أشيخ الهند، قد هبت رياحٌ
من الإيمان تمنحنا الرشادا
فتحت لها النوافذ حين هبت
فما تركت غباراً أو رمادا

كتبت لنا فما أرخصت فكراً
 ولا أخفيت معنى مُستفاداً
 وكنت أديبنا في الهند تحمي
 بحسن صياغة الأسلوب «ضاداً»
 تصيّدت البلاغة من حماها
 ومن أبرى سِهَامِ الوعي صاداً
 وما كلُّ الظُّباءِ إذا أثيرتْ
 بأنغام الهوى تأتي تهادي
 وفرق بين مَنْ صلى خشوعاً
 وإيماناً، ومن صلى اعتياداً
 ومن كتب الحروف لنشر دينٍ
 ونصرتِه، فقد بلغ الجهاداً
 بذلت الجُهدَ، ذلك طَبَعُ شَهْمٍ
 إذا بَخِلَتْ نفوسُ القومِ، جاداً
 وليس على المجاهد من سبيلٍ
 إذا لم يدخر فينا اجتهداً

وما حقُّ الذي يسعى لخيرٍ
ويعطي، أن يُحاربَ أو يُعَادَى
ومنَّ جعل الكتابَ له مَعِيناً
فلن يخشى لنبيه نَفَاداً



ضيوف الله

الخُبَر - الرياض ١٤-١٧/١٢/١٤٢٦هـ

رسالة عزاء ورجاء:

نعزِّي فيكم البلدَ الحراما

وكعبتنا الشريفة والمقاما

نعزِّي زمزمَ البركاتِ فيكم

وخيفَ منى ومن سكنوا الخياما

نعزِّي كلَّ من لبى وأجرى

على البطحاءِ أذمَّعه وهاما

نعزِّي خادَمَ الحرمين فيكم

وشعباً مسلماً عشق الوئاما

نعزِّي أمَّةَ الإسلام فيكم

ومن صلَّى لخالقه وصاما

نعزِّي أهلَكُم ونقول: إنَّا

وإياهم تقاسمنا السُّهاما

رضينا بالقضاءِ وما جزعنا

وإنَّ سالتَ مدامعنا سجاما

ضيوفَ الله، أَقْبَلْتُمْ سِرَاعاً
 ونار الشوق تضطرم اضطراما
 لنبض قلوبكم وَهَجٌ عَرَفْنَا
 به الشوق المُبَرَّحَ والهَيَامَا
 نحبيكم تحايا، لو رآها
 ظلامُ الليل ما عَرَفَ الظلامَا
 نثرناها لكم في الدرب زَهْرًا
 وفوق رؤوسكم تجري غَمَامَا
 ضيوفَ الله، أَقْبَلْتُمْ وفوداً
 كراماً عند مَنْ يرعى الكِرامَا
 ومن قصيد الهداية نال منها
 إذا صلحت سريرته السَّنَامَا
 نفضتم عن كواهلكم هموماً
 وأسلمتم لربكم الزُّمَامَا
 كأنني بالسؤال يَفِرُّ مني
 إليكم، قبل أنْ يَفِدُو كلاما؛
 طريق الخير واضحةٌ، ولكنْ
 لماذا تاه عنها مَنْ تعامى؟

أليس الرفق أولى بين قوم
 أجابوا داعي الحج التزاماً؟
 أما عرفوا السكينة في صلاة
 أما ألقوا لبعضهم السلام؟
 أما طافوا بيت الله سبباً
 وفي أجوائه رأوا الحمّام؟
 وليس الحج إلا ركن دين
 يُقيم به الشريعة من أقالما
 فكيف يصير ميداناً لحرب
 يهز الأقياء لها الحسام؟
 يدوسون الضعيف بلا حنان
 ويقتحمون بالعنف الزحام
 فكم فوج تشابك بالأيادي
 فحوّل كلّ من لاقى حطاماً
 وكم فوج تنادى في انحدار
 فزاد مشاعر الخوف احتداماً
 وكم فوج يفرّق من يلاقي
 ويؤذي الناس ركبلاً وارتطاماً

عجبتُ للابسِ الإحرام ينسى
 ملاطفةً ورفقاً واحتراماً
 يقول لربه: لبيك ربي
 وينسى أنه شرع النظام
 ضيوف الله، يا مُهَجَّأً رأينا
 عليها من محبتها وساماً
 هو الحجُّ المبارك ركنُ دينٍ
 يجنب مَنْ أدان به الخصاماً
 ويرقى بالقلوب عن التَّجافي
 ويحتضن الأرامل واليتامى
 يقول لمن تغافل أو تلهى
 ولم يدرك - كمن سبقوا - المراما:
 إذا ما الناقة الكوماء فرّت
 فأدركها، ولا تلم الخطاماً
 كثيرٌ من يقول: أبي وجدّي
 ولكن قل مَنْ بالحزم قاماً

عبارة الموت

الطائف ٧/١/١٤٢٧هـ

«يا لها من قصة دامية رواها أحد الناجين من رُكَّاب عبَّارة الموت
التي غرقت في البحر الأحمر».

أصارُع في الأمواج خوفي ورهْبتني

وأسألُ ربِّي أن يفرِّجَ كربتي

أرى الموت من كلِّ الجهات يحيط بي

فأغمض من هول المصيبةِ مقلتي

سأروي لكم بعض الذي كان، إنها

لأعجبُ مأساة، وأغربُ قصةٍ

وقفنا على عبَّارةِ الموتِ بُرْهةً

لنا الله من أقسى وأطولِ بُرْهةٍ

نظرتُ إلى أهلي، فدَيَّتْ عيونهم

تُبادلني بالحزنِ أعمقَ نظْرةٍ

فكان حديثاً بالعيون مُحمَّلاً

بحزنٍ وآلامٍ وإحساسٍ فُرْقَةٍ

وقفنا سويًا وقفَةً لو وصفَتْها
 لأعجزني وصفًا لأقصر وقفَةً
 وما هي إلا لحظة طار بعدها
 صوابي وإحساسي وعزمي وهمتي
 تهاوى مئاتُ الناس من كل جانبٍ
 إلى البحر تمضي فرقةً بعد فرقةٍ
 قَفَزْتُ مع الأحباب قَفْزَةً هاربٍ
 يُواجه ما يَلْقَى بذهنٍ مُشْتَتٍ
 إلى أين؟ لا أدري إلى أين، إننا
 نَفِرُّ إلى موجٍ وحوثٍ ولُجَّةٍ
 تَلْقَفُنَا الموجُ الرهيب، فلا أبي
 رأيتُ ولا أمِّي الرؤوم، وإخوتي
 صرختُ، وكررتُ النداء، فلم أجد
 سوى صرخاتِ الموج تلطم صرختي
 وأصبحت وحدي في الخِضَمِّ يَهْوُلُنِي
 من البحر ما يقضي على كلِّ فرحةٍ
 فمن سابعٍ مثلي بطوق نجاته
 ومن شاخص العينين حولي وميتٍ

ومن رافع إحدى يديه ملوحاً
 تخطّفه موجٌ فألهبَ حسرتي
 سبّحنا سوياً ساعةً من جراحنا
 فكان أنيسي في غياهبِ ظلمتي
 فلما تراخى عزمه غاص واختفى
 فلله ما عانيتُ من جورٍ وحشتي
 أمامي طواه الموج والموت وانتهى
 أمامي غريقاً مشعلاً نار زفرتي
 تَلَفْتُ، ما أقسى تَلَفْتُ خائفٍ
 تراقبه المأساة في كل لَفْتَةٍ
 تلاقى أمامي الليل والبحر والأسى
 وموجٌ يُريني هَجَمَةً إثر هَجَمَةٍ
 فلا تسألوا عن خنجر اليأس طاعناً
 صمودي وصَبَرَ القلب أسوأ طَعْنَةٍ
 أقوِّي فؤادي بالرجاء هُنَيْهَةً
 فلما يثور البحر تنهار قوّتي
 أحدث نفسي بالنَّجاة فانتشي
 وفي لحظةٍ تُتَهِى المعاناةُ نَشْوتِي

نسيتُ - وربُّ الموج - معنى سعادتي
 ومعنى رضا قلبي وأنسي وبسمتي
 تلاشتُ معاني الوقت والعمر وانتهتُ
 حكاية أحلامي وآفاق رغبتي
 وأصبحت الدنيا كحلْم بلا مَدَى
 وهان أمام الموت علمي وثروتي
 ألا بثسما هذي الحياة ولهوها
 وبئس بلهوي في الحياةِ وغفلتي
 ألا ما أشدَّ الموتَ صوتاً وصورةً
 تراءتُ لعيني منه أعجبُ صورةٍ
 هنا صار ذكرُ الله أعظمَ ثروةٍ
 وقيمةُ تقوى الله أعظمَ قيمةٍ
 أقول، وقد شاهدتُ ما لم أكنْ به
 محيطاً، وقد واجهتُ أعظمَ صدمةٍ
 ألا ليت أهلَ البقي في الأرض لأمسوا
 من البحر والأمواج سرَّ المنيةِ
 فيا ربَّما عادوا إلى الحقِّ عَوْدَةً
 وتابوا إلى الرحمن أجملَ تَوْبَةٍ

نعم، إنها عبارة الموت لم تزل
 تحرك في قلبي شجوني ولوعتي
 أحاط بها الإهمال من كل جانب
 فصارت كسيف للحقيقة مضطرب
 من القاتل الجاني؟ سؤال معلق
 على باب إنصاف وعدل وحكمة
 ركام من الإهمال ما زال جاثماً
 بما فيه من سوء على صدر أمتي
 نعم، إنها عبارة الموت حوّلت
 حياتي إلى حزن وشوق ودمعة
 أراها بعين الحزن في كل نظرة
 توجهها عيني، وفي كل غمضة
 وتسمعها أذني صريراً وضجة
 وطقطقة توحى بأعظم نكبة
 ولولا يقيني بالإله، وأنّها
 مقادير تجري في زمان مؤقت
 لطل بقلبي في الأنين مقامه
 وطالت على درب الجراحات غرّيتي

عزائي لكم يا مَنْ فقدتم أَحِبَّةً

كفقدني أمامَ العينِ أغلى أَحِبَّتِي

عزاءَ مُحِبٍّ، صُورَةُ الهولِ لم تَزَلْ

تُلاحقه في كل نومٍ وصَحْوَةٍ

أقول لكم، والبحر ساقَ دليِّله

على الموتِ في أجلى وأَوْضَحِ عِبْرَةٍ

رِضاَنَا بما يقضي الإلهُ دليُّلُنَا

إلى راحةٍ كُبرى وعَفْوٍ وَرَحْمَةٍ



مَضَى عَلِيٌّ

«تلويحة وداع للشيخ علي الطنطاوي - يرحمه الله -».

منابعُ الشعر لم تبخلْ سواقِيتها

فكيف يحبسها مَنْ كان يُجريها؟

وكيف يسجنها في ليل وحشته

مَنْ لا يرى الأُنسَ إلا في قوافيها؟

منابعُ الشعر ما جفَّتْ ولا مُزجتْ

بما يكدرها من وهَمِ راويها

لكنَّها مُزجتْ بالحزن لوَّنَها

بلونه، فرأينا حُزْنَنا فيها

يا لائمَ الشعر - صَمْتًا - رَبُّ قافلةٍ

تأبى مسيراً على أصوات حاديها

صَمَّتْ الحزينَ بكاءً لا تحسُّ به

إلا القلوبُ التي جارتْ مآسيها

نبكي بلا أدمعٍ، إنَّ الدموعَ إذا

تمكَّنَ الحزن، جفَّتْ في مآقيها

ما كلُّ مَنْ ذرفَ الدمعَ الغزيرَ بكى
 قد يذرف المرءُ دمعَ العين تمويها
 تُشوى قلوبٌ بنار الحزن وهي على
 نهر المحبة، تُستسقى غواديها
 أكلما صدحت في القلب صادحةً
 من الرضى جدُّ الأحران ناعياها؟
 وكلما ابتسمت أطيافُ فرحتنا
 مُدت إليها يدُ الآلام تبكيها؟
 يا من يعاتبني في حزن قافيتي
 أما رأيت سهام الحُزن ترميها؟
 هل تطلبُ الشَّدو منها وهي واجمةٌ
 ممّا ترى، وستار الليل يُخفيها؟
 تشدو بلبائنا لما يضحكها
 فجرٌ، ويسكتُ في الظلماءِ شاديها
 يا لائمَ الشعر هل أدركتَ ما طُويتَ
 نفسي عليه، وهل بانت مراميها؟
 هل اطلعتَ على آفاق لوعتها
 والشعر يُبعدها عني ويدنيها؟

أما علمت بأنَّ الشعر أفئدةٌ
نشدو بها وجراحاتٍ نغنيها
مَنْ زَيْنَ النفس بالإيمان أنزلها
مكانةً قلَّ فينا مَنْ يُساميها
بيني وبين إباءِ الشعر ألويةٌ
معقودةٌ، ومواثيقُ نراعيها
نبكي بعينين من دمعٍ ومن لغةٍ
شعريةٍ، لم تزل تسمو معانيها
نغدو، نروح، نرى، نُصغي، نمدُّ يداً
بلا ذراعٍ إلى الأغصانِ نجنيها
نسعى، نحثُ خُطانا، والسرابُ على
طريق أحلامنا العَطَشَى يُلْهِيها
ونسُتدرُّ من الدنيا سعادتنا
وليس في ضرعها إلا عَواديها
نبني، وتهدم ما نبني نهائتُها
كم تسخر الأرضُ من إصرارِ بانيها
تهيأت هذه الدنيا لجائحةٍ
لأنَّها رفعت من شأنِ عاصيها

وأغرقت في محيط الظلم مركبها
 وصار إعلامها بوقاً لغاويها
 ما بين حينٍ وحينٍ ينتهي عَلمٌ
 وتتطوي صفحاتٌ جلّ طاويها
 يا ربّ عونك ما زلنا نرى ثَلَمًا
 في أمةٍ تشتكي جدباً مغانيتها
 رحيلُ أحبابنا نارٌ موجّجة
 تُذيب أكبادنا وجداً وتُصلّيها
 مضى عليّ، أديبُ الفقه، شيعه
 حبّ عظيمٌ وآلامٌ تُداريها
 وشيئته نفوسٌ طالما شربت
 من نبع حكمته ما كان يُرويهَا
 وشيئته قلوبٌ نبضُها أملٌ
 في الله أن يسكن الجنّاتِ باغيها
 مضى الأديبُ العصاميُّ الذي احتفلت
 به البلاغةُ وازدانت روابيها
 مضى، كأنّ لم يَصافحْ كفّه قَلَمٌ
 عَذَبٌ يذود عن الفصحى ويحميها

يا مازج العلم بالآداب في زمنٍ
آدابه انسلخت مما يزكّيها
عزّت بك اللغة الفصحى وكنّت بما
أوتيت من فكرك الصافي تغذيها
رفعت من قصص التاريخ ألوية
ما زال يقصر عنها من يُباريها
وشيّتها بجميل القول فابتهجت
فيها المعاني بما صاغت مبانيها
في ذكرياتك كنزٌ قد بنيت به
صروح وعي، لسانُ الصدق يرويها
بها فتحت لنا الأبواب مُشرعة
إلى حقائق كاد الصمت يُفنيها
أسلمت للأدب الراقى صياغتها
حتى التقت بأدانيها أقاصيها
ودعّتنا في زمانٍ، ليلٌ غربته
يكاد يلتهم الدنيا وما فيها
ما بين فكرٍ إباحيٍّ وعَولةٍ
في كفٍّ بائعها سمٌّ لشاريها

وأمتي - يا أديبَ الفقه - في زمني
 تكاد تخرجُ من إشراق ماضيها
 لها يدٌ غيرَ أنَّ الحزمَ يُنكرها
 فما ترى الحزمَ إلا في أحاجيها
 ما أقضرتُ أمتي، لكنَّ غفلتها
 ولهوها أنزلتها من معاليها
 يا مازجَ العلمِ بالآدابِ، كم هُرِعتُ
 إليك أحرقتنا الخضراءُ تؤويها
 غادرتنا وحروفُ اللاهثين على
 درّبِ الحداثةِ آفاتُ نلاقيها
 صاوت أمثالها بالحقِّ في زمنٍ
 مضى فحدثتِ الحصباءُ عن فيها
 كذلك الهِمَمُ الكبرى إذا بُنيتُ
 على الوفاءِ، تهاوى مَنْ يعاديها
 ها نحن نفرس أشجارَ الشموخ على
 شطآننا، وبماءِ الحبِّ نسقيها
 تمدُّ أغصانها خضراءَ مثمرةً
 فما تُطيق لها الرَّمضاءُ تشويها

إنّا لنحسّر آثار الذين بنوا

بالحزم والخُلُقِ الأسمى نقوئها

إليك منا زهوراً من محبتنا

ودعوة في ظلام الليل نُزجيها



أبا عُمَرَ الحبيبَ

طريق الباحة - الطائف ١٤/٢/١٤٢٥هـ

«مع العزاء إلى أبناء الحبيب الراحل د/مانع الجهني وأهله وكلّ مسلم»

تُشَارِكُكَ الأُسى هَـذِي التُّلالُ

وتبكي - مثلما تبكي - الجبالُ

يشـَارِكُكَ الأُسى ليلٌ طَوِيلُ

تواری نجمه وبكى الهلالُ

يشـَارِكُكَ الأُسى حُلُمٌ جَرِيحُ

وساعاتٌ من الشكوى طَوَالُ

كان الأرض حولك قد أَحَسَّتْ

بما نقل الرواة لنا وقـَالُوا

رَأَتْكَ - عَرَاءُ - تُطْرَقُ فِي وجومِ

فبان على ملامحها انشغالُ

كَأَنَّ الحزنَ منك سَرَى إليها

وأرَقَّها وضاق بها المَجَالُ

لقد حملت أساك على أساها

وكم حُرَّ يَطِيبُ له احتِمَالُ

لقد رحل الحبيبُ فلا تجادلُ
 وهل سيعيد مَنْ رَحَلَ الجدالُ
 مآلُ الناسِ للأخري ولكنْ
 يغيبُ عن الذي يَلْهُو المآلُ
 هنالك لا أبُّ يُفني غناءً
 ولا أمٌّ ولا عَمٌّ وخــــــــــــــــالُ
 أبا عُمَرَ الحبيبَ رحلتَ عنا
 وبَحَرَ الذكرياتِ له جُفالُ
 بكَّتكَ «النَّدوةُ الفــــــــــــــــراء» لما
 نعى النّاعي ورددَ ما يُقالُ
 بكَّتكَ وحقُّ أنْ تبكي محباً
 له برقيُّ أُمَّتِه احتفالُ
 له في دعوةِ الإسلامِ سعيٌ
 وأقوالٌ تؤيِّدها الفــــــــــــــــعالُ
 رعى همَمَ الشُّبابِ وهم كنوزُ
 لأُمَّتِنَا بهمَّتهمْ يُدالُ
 وداعاً - مانعُ الجهنيُّ - إني
 أودّع، والدموعُ لها انهمالُ

طواك الموتُ عَنَّا، غَيْرَ أَنَّا
 نراك بحسن ذكركَ ما تزالُ
 لك العمرُ الذي ولَّى ويبقى
 من الذكر الجميلِ له اتِّصالُ
 يَمُدُّ العمرُ بالطاعاتِ مَدًّا
 وبالعصيانِ، للعمرِ اختزالُ
 أبا عمرَ الحبيبَ بكاكَ وعيَّ
 بأحداثٍ لها فينا اشتغالُ
 بكَتْكَ عَيُونَُ أَرْمَلَةٍ وَتَكَلَّى
 يضيقُ بوصفِ ما تشكو الخيالُ
 يَكْتَكُ عَيُونَُ أَيْتَامٍ صَفَارِ
 وأعباءَ لأمَّتنا ثَقَالُ
 بكَتْكَ قَوَافِلُ الإِصْلَاحِ، تَمْضِي
 عليها من مآثرِكَ الظُّلالُ
 بكَتْكَ إِغْثَاةٌ وَبَكَاكَ سَقْيُ
 دُؤُوبٍ لَا يُخَالِطُهُ كَلَالُ
 بكَتْكَ مَدَارِسُ التَّحْفِيزِ، مُدَّتْ
 لها من صِدْقِ هَمَّتِكَ الحبالُ

مراكز دَعْوَةِ الإسلام تبكي
فراقك، والبكاء لها حلالٌ
مضت سنواتُ عمرك في عطاءٍ
به وبمثله يسمو الرجال
وما الدنيا سوى بيتٍ صفيّرٍ
يقيم على منافذه الزوالُ
فمن خرجوا ومن دخلوا جميعاً
تُشدُّ لهم إلى الموتِ الرحالُ
لك الدُّعوات بالرحمات تُترى
وعند الله، ما خاب السُّؤالُ
عزائي فيك أن الموتَ حقٌّ
وأن بقاءَ دنيانا مُحالٌ



سرحان

الرياض ١٤٢٤/٥/١ هـ

إهداء:

إلى شريك الحزن على فقد والده الفقيه الشيخ «سرحان بن مسفر»، إلى الصديق «علي بن سرحان» مع دعوة صادقة بالرحمة والمغفرة لوالده الراحل.

تهون دنياك، والأحبابُ ما هانوا

يا شاعراً، قلبه الخفاق ولّهانُ

ما كلُّ مَنْ رحلوا غابوا، فكم رحلتُ

أجسام قوم، وهم في القلب سُكَّانُ

بعض العباد، له ذكرى معطرةٌ

فكلُّ أخباره ورْدٌ وريحانُ

وبعضُهم كتاباتٍ مشوكةٍ

لذكره في قلوب الناس نُكْرانُ

هل يرحل القلبُ؟ لا تسأل، فكم رحلتُ

منّا القلوبُ على آثارٍ مَنْ بانوا

وكم ضحكنا، وفي الأعماقِ حسرتنا

يُخفي مِواجِعنا صَبْرٌ وسلوانُ

نُخْفِي عَنْ النَّاسِ مَا نَشْكُوهُ مِنْ أَلَمٍ
 وَفِي الْمَدَامِعِ وَالْأَهَاتِ إِعْلَانُ
 رَحِيلُ أَحِبَابِنَا مَهْمَا نَهَوْنَهُ
 صَعَبٌ، لَهُ فِي حَنَايَا الْقَلْبِ نِيرَانُ
 يَا نَاقِلَ الْخَبِيرِ الْمُبْكِي إِلَيَّ، لَقَدْ
 أَضَفْتَ حَزْناً، وَفِي الْوَجْدَانِ أَحْزَانُ
 نَمْسِي وَنَصْبِحُ، وَالْأَيَّامُ شَاهِدَةٌ
 بِمَا نَكَابِدُهُ، وَالْعَقْلُ حَيْرَانُ
 كُلُّ، لَهُ فِي دُرُوبِ الْحَزْنِ مَوْقَعُهُ
 مَهْمَا تَوَاضَعَ مِنَّا أَوْ عَلَا شَأْنُ
 تَقُولُ: مَاتَ فُلَانٌ، مَا عَلِمْتَ بِمَا
 يَعْنِيهِ لِلْخَافِقِ الْمَجْرُوحِ «سَرْحَانُ»
 «سَرْحَانُ»، قَلْبٌ جَمِيلُ النَّبْضِ كَانَ لَهُ
 مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ بَنِيَانٌ وَأَرْكَانُ
 «سَرْحَانُ»، دَعْوَةٌ خَيْرٌ فِي مَجَالِسِنَا
 كَانَتْ بِهِ حَلَقَاتُ الذِّكْرِ تَزْدَانُ
 تَلْقَاهُ فِي مَسْجِدٍ، أَوْ عِنْدَ مَكْتَبَةٍ
 يَتَوَقُّ مِنْهُ إِلَى الْإِصْلَاحِ وَجْدَانُ

يُهدي كتاباً، ويستهدي الدُّعاءَ له
إنَّ الدُّعاءَ لأهل الخير إحسانُ
يا ناقلَ الخبر المُبكي، بعثتَ شَجَى
له من الدمع في العينين هَتَّانُ
أبو علي، طواه الموتُ؟ كم فُجِعَتْ
بمثل هذا الذي أَخْبَرْتَ آذانُ
ودَعَتْهُ - عامناً الماضي - على أملٍ
والصدر منشرج، والقلب جَذْلانُ
واليوم غابَ عن الدنيا فليس لنا
فيها لقاءً، ولا للجمع إمكانُ
يا ناقلَ الخبر المُبكي، فمي جمَدْتُ
فيه الحروف، ودمع العين هَتَّانُ
وهل يُجمد في الأفواه أَحْرَفُنَا
إلا الأسى وجراحات وأشجانُ
يا وادي «المَلَد» الباكي أرى المأ
به تبوح من الأشجار «خِيَطَانُ»
كأنني بشجيراتِ الحَمَاطِ بكتُ
حزناً، وأيدها لوزٌ ورُمَّانُ

وأيدتها جبالٌ حولها وجمت
 وشاركتها وجومَ الحزنِ كُتبانُ
 ماذا تقول لنا أغصانُ «رُقعة» (١)
 لرُبما ذُبُلْتَ بالحزنِ أغصانُ
 وربما سقطت أوراقُها أسفاً
 وثار في جذعها للحزنِ بركانُ
 نرى الطبيعة تبكي مثلنا الماءُ
 إذا اشتكت من لهيبِ الدمعِ أجفانُ
 لا تعجبي يا جراحَ القلب، إنْ فُتحتْ
 قلوبنا لكِ فالأحزانُ ألوانُ
 إذا تمكَّن حزنٌ من مشاعرنا
 تدثَّرت برداءِ الحزنِ أوطانُ
 يا رحلة، لم تقِف يوماً مراكبُها
 ولم يقفْ دونها في الأرضِ إنسانُ
 مضى الأحبة حتى قال قائلنا
 إذا تحدَّثَ عن أحبابه: كانوا

(١) الرُقعة: شجرة، عريضة الأوراق تظلُّ جزءاً كبيراً من ساحة منزل الفقيد في قرية المَلد بمنطقة الباحة.

مَنْ عَاشَ؟ مَنْ مَاتَ؟ لَنْ نُحْصِيَ لَهُمْ عِدْداً
وَلَنْ يُحْصِيَهُ بِهِمُ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ
يَا رَبُّ، وَدَعْنَا الْأَحْبَابُ وَارْتَحِلُوا
وَمِنْكَ يَا رَبُّ إِحْسَانٌ وَغُفْرَانٌ
جَنَّاتِ عَدْنِكَ يَا رَحْمَنُ نَطْلُبُهَا
فَامْنِنْ بِهَا، أَنْتَ يَا ذَا الْجُودِ مَنَّانٌ
بِكَ اعْتَصِمْنَا، وَفِي أَعْمَاقِنَا ثِقَةٌ
وَفِي الصُّدُورِ مِنَ الْإِيمَانِ بُسْتَانٌ



أواه يا عبد العزيز

الرياض ٢٨/٢/١٤٢٥هـ

«إلى روح عبد العزيز الرنتيسي ومرافقيه - رحمهم الله -»

فتحوا لك البابَ الجميلَ سريعاً

فَنَجَّوْتَ أَنْتَ وَإِنْ رَأَوْكَ صَرِيعاً

وَسَمَّوْتَ أَنْتَ إِلَى الْعُلَا وَتَهَافَّتُوا

وَعَدَوْتَ فِي زَمَنِ الْجَفَافِ رَبِيعاً

خَضَعُوا لِأَهْوَاءِ النُّفُوسِ وَغَدَرَهَا

وَأَبَيْتَ أَنْتَ تَزَلُّفاً وَخَضُوعاً

قَتَلُوكَ غَدْرًا يَا حَبِيبُ وَإِنَّمَا

بِالْغَدْرِ صَارَ حَدِيثُهُمْ مَسْمُوعاً

وَاللَّهِ - لَوْلَا الْغَدْرُ - مَا اجْتَمَعُوا عَلَى

أَرْضِ الرِّبَاطِ، وَلَا رَأَوْا تَطْبِيعاً

لَوْ وَاجَهُوكَ لَوَاجَهُوا الْبَطْلَ الَّذِي

يَأْبَى إِلَى غَيْرِ الشُّمُوخِ نُزُوعاً

قَتَلُوكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ فَأَحْدَثُوا

وَاللَّهِ جَرْحاً فِي الْفُؤَادِ وَجِيعاً

ماذا يقول لك المحبُّ؟ ونارُه
 قد لوَّعت وجدانه تلويحاً
 أنا لست أنكر أنهم قد أحزنوا
 قلب المحبِّ وأورثوه صدوعاً
 لكنَّه حُزنٌ يزيد قلوبنا
 أملاً تمُدُّ به الأصولُ فروعاً
 عبد العزيز، رحلت عنا شامخاً
 ولقيت ربَّ العالمين مطيعاً
 أدركت ياسينَ الحبيبَ كأنما
 ساق اشتياقك قلبك المفجوعاً
 قدَّمت نفسك وانطلقت بها ولم
 تملأ عيون مرَافقِك دموعاً
 طرتم بأجنحة البطولة إخوة
 لاذوا برَبِّ العالمين جميعاً
 لكأنني بكم اتَّخذتم موقِعاً
 عند الإله ومنزلاً مرفوعاً
 وتركتم الماءَ المكدرَ عندنا
 وشريتمو ماءَ الحياةِ نجيعاً

أشلاء أبطال الجهاد تحولت
دُرراً، وصارت في الظلام شموعا
ودماء أبطال الجهاد تدفقت
مِسْكَاً، يُضَوِّعُ كَوْنَنَا تَضْوِيعاً
إني لأسمع في التراب نشيدها
وأرى عليه كتابها المطبوعا
وأكاد أسمع من حديث عجبتها
قولاً يُنبِّه غافلاً مخدوعاً:
خاب اليهود وخاب مَنْ يبني على
خُططِ اليهود لنفسه مشروعاً
عبد العزيز رحلت عنا مثلاً
رحل الضياء مكرماً مرفوعاً
ودعنا شهماً أجاد بصدقه
حُسْنَ اللِّقَاءِ، وَأَحْسَنَ التَّوْدِيعِ
لم يقتلوك، وإنما نصبوا لنا
علماً من الشرف العظيم رفيعاً
أبكيتك؟ لا والله بل أبكي على
مَنْ يجهل التدوير والتربيعاً

أنا - يا أخا الإسلام - أبكي غافلاً
من قومنا لم يفهم الموضوع
أواه يا عبد العزيز لأمة
ما زال حبل إبانها مقطوعاً
نهشت كلاب المعتدي أعضائها
ويظل مليار الغنم وديماً
بيعت كرامتها، وسيف جهادها
في سوق تجار المبادئ بيعاً
وأرى لها ثوباً تمزق، لم تجد
ثوباً سواها، ولم تجد ترقيعاً
أنا ما يئست ولا جزعْتُ فإنما
تطوي الهزائم في الحياة جزوعاً
أنا لا أقول أضيع مجد عقيدتي
لكن عزم المسلمين أضيعاً
يا أهل أبطال الجهاد، عزاًؤنا
أن الشهيد غداً يكون شفيعاً
ما أقرب الدنيا من الأخرى فلا
نامت عيون تعشق التلميذ

لَا فَرْقَ بَيْنَ النَّاسِ فِي لُغَةِ الرَّدَى

مَنْ عَاشَ أَلْفًا أَوْ قَضَى أَسْبُوعًا

إِنَّا نُهْنِئُ مَنْ نُعْزِي حِينَمَا

تَزْدَادُ بَارِقَةُ الْجِهَادِ سَطُوعًا



هو رامي أو محمد

الرياض - الازهار ٩/٧/١٤٢١هـ

«اتصل بي عدد من الأخوة والأخوات بعد قراءتهم لقصيدتي
«رامي» عن الطفل الفلسطيني الذي قتل في حضان أبيه الجريح،
وأكدوا لي أنهم قرأوا وسمعوا اسم الطفل «محمد» وليس «رامي» علماً
بأن وسائل الإعلام نشرت الاسم مختلفاً، فكانت هذه القصيدة»

هو رامي أو محمد

صورة المأساة تشهد:

أن طفلاً مسلماً في ساحة الموت تمدد

أن جندياً يهودياً على الساحة عربد

وتمادى وتوعد

ورمى الطفل وللقتل تعمّد

هو رامي أو محمد

صورة المأساة تشهد:

أن طفلاً وأباً كانا على وعد من الموت محدّد

مات رامي أو محمد

مات في حضان الأب المسكين...

والعالمُ يشهدُ
 مَشْهَدٌ أَبْصَرَهُ النَّاسُ....
 وكم يخفى عن الأعينِ مشهَدٌ
 هو رامي أو محمدٌ
 صورةُ المأساةِ تشهدُ:
 أنَّ إرهابَ بني صهيون...
 في صورته الكبرى تجسَّدُ
 أنَّ حسَّ العالمِ المسكونِ بالوهم تبُلَّدُ
 أنَّ شيئاً اسمه العطفُ على الأطفالِ....
 في القدس تجمَّدُ
 هو رامي أو محمدٌ
 صورةُ المأساةِ تشهدُ:
 أنَّ لصاً دخل الدَّارَ وهدَّدُ
 ورأى الطفلَ على ناصيةِ الدَّرَبِ فسدَّدُ
 وتعالى في نواحي الشارع المشؤومِ صوت القصفِ حيناً...
 وتردَّدُ
 صورةُ المأساةِ تشهدُ:

أَنْ جَيْشاً مِنْ بَنِي صَهْيُونَ....

لِلإِرْهَابِ يُحْشَدُ

أَنْ نَارَ الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ تُوقَدُ

أَنْ آلاَفَ الْخَنَازِيرِ....

عَلَى الْمَنْبَعِ تُورَدُ

هَذِهِ الطُّفْلَةُ «سَارَّةُ»

زَهْرَةٌ فِيهَا رُوءٌ وَنَضَارَةٌ

رَسَمَ الرِّشَاشُ فِي جِبْهَتِهَا...

شَكَلَ مَفَارَةَ

لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أَنَّ الظَّالِمَ الْغَاشِمَ أَزِيدُ

وَعَلَى أَشْلَائِهَا جَمَعَ أَشْلَاءٌ وَأَوْقَدُ

هُوَ رَامِي أَوْ مُحَمَّدٌ

صُورَةُ الْمَاسَاةِ تَشْهَدُ:

أَنْ جَرَحَ الْأُمَّةَ النَّازِفَ مِنْهَا لَمْ يُضَمَّدْ

أَنْ دَيْنَ الْمَجْدِ مَا زَالَ عَلَيْنَا....

لَمْ يُسَدَّدْ

أَنْ بَابَ الْمَجْدِ مَا زَالَ...

عن الأمةِ يُوصدَّ

صورةُ المأساة تشهد:

أنَّ أشجاراً من الزيتونِ تُجثَّتْ....

وفي موقعها يُغرسُ غرقَدٌ

أنَّ تمثالاً من الوهم...

على تلٍّ من الإلحادِ يُعبَدُ

هو رامي أو محمد

صورةُ المأساة تشهد:

أنَّ ما أدلى به التاريخ....

من أخبارِ صهيونَ مؤكَّدٌ

أنَّ ما نعرف من أحقادِ صهيونَ تجدُّ

ما بنُّو صهيونَ إلَّا الحقدُ...

في صورةِ إنسانٍ يُجسَّدُ

أمرهم في نسقِ الناسِ معقَّدٌ

يا أعاصيرَ البطولاتِ احمليهم

ووراءَ البحرِ في مستقعِ الذلِّ اقذفيهم

وعن القدسِ وطهرِ القبلةِ الأولى خذيهم

قَرَّبِيهِمْ مِنْ مَخَازِيهِمْ وَعَنَّا أَبْعَدِيهِمْ

هُوَ رَامِي أَوْ مُحَمَّدٌ

هُوَ سَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَرَشِيدٌ وَمُرْشِدٌ

هِيَ لُبْنَى هِيَ سَعْدَى وَابْتِسَامٌ وَهِيَ سَارَةٌ

هُمْ بَوَاكِيرُ زَهْوَرِ الْمَجْدِ فِي عَصْرِ الْإِثَارَةِ

هُمْ شَمْوُخٌ فِي زَمَانٍ أَعْلَنَ الذُّلَّ انْكَسَارَةً

هُمْ وَقُودُ الْعِزِّمِ وَالْإِقْدَامِ عَنْوَانُ الْجَسَارَةِ

هُمْ جَمِيعاً جِيلُنَا الشَّامِخُ....

«أَطْفَالُ الْحِجَارَةِ»

لَوْ سَأَلْنَا هُمْ لَقَالُوا:

مَا الشَّهِيدُ الْحُرُّ....

إِلَّا جَذْوَةٌ تُوقِدُ نَارَ الْعِزِّمِ

وَالرَّأْيِ الْمَسْدُودِ

مَا الشَّهِيدُ الْحُرُّ إِلَّا....

شَمْعَةٌ تَطْرُدُ لَيْلَ الْيَأْسِ....

وَالْحَسَنُ الْمَجْمَدُ

مَا الشَّهِيدُ الْحُرُّ إِلَّا....

رَايَةُ التَّوْحِيدِ فِي الْعَصْرِ «الْمُعَمَّدِ»

ما الشهيدُ الحرُّ إلا....

وَبَبَّةُ الإيمانِ في العصرِ "المهودِّ"

ما الشهيدُ الحرُّ إلا....

فارسٌ كَبَّرَ لله ولَمَّا حَضَرَ الموتُ تشهَّدَ

ما الشهيدُ الحرُّ إلا....

روحٌ صَدِيقٍ إلى الرحمنِ تصعدُ

أيُّها الباكونَ من حزنِ علينا.....

إنما يُبْكِي الذي استسلمَ للذلِّ وأخلدَ

نحن لم نُقتلْ....

ولكنَّا لقينا الموتَ أعلى همَّةٍ منكم وأمجَدَ

نحن لم نحزنَ ولكنَّا فرحنا ورضينا

فافرخوا أنا غسلنا عنكم الوهمَ الملبَّدَ

طلَّقوا أوهامكم....

إنَّا نرى الغايةَ أبعدَ

هو رامي أو محمدٌ

هو سعدٌ وسعيدٌ ورشيدٌ ومرشدٌ

ربَّما تختلفُ الأسماءُ لكنَّ

هَدَفُ التحريرِ للأقصى موحدٌ

رسالة من بين الحُطام

الرياض ٢٢/٦/١٤٢١هـ

في صُبْح يوم كالح الأنوار
 كان انطلاقُ نهاية المشوارِ
 ودَّعْتُ أُمِّي والصَّفَّارَ وزوجتي
 وبدأتُ بالعَزْمِ الطَّموحِ نهاري
 وخرجتُ من داري إلى سيَّارتي
 وتركتُ فَيْضَ مشاعري في داري
 سأعود بعد الظهر أحملُ في يدي
 حَلَوَى، تَهَشُّ لها قلوبُ صفاري
 سأعود بعد الظهر أشربُ قهوةً
 وأحدِّثُ الأحبابَ عن أخباري
 هي رحلةٌ يوميةٌ، أغدو بها
 وأروح أرسم في الحياة مَساري
 عملي هو التعليم، أشرفُ مهنةٍ
 في الأرض، تنشر صالح الأفكارِ

أبني السّواعد للبلاد، وإنما
بالعلم تُبْنَى هِمَّةُ الأخيارِ
ما بين مدرستي وداري، لم يزلْ
دربي يُحَفُّ بأجمل الأزهارِ
ما بين مدرستي وداري، رحلةٌ
يوميّةٌ محمودةُ الآثارِ
أغدو إذا هتَفَ الصّباحُ وفي يدي
قلمي، وتتميةُ العقول شعاري
ما كان حولي ما يثيرُ مخاوفي
لما انطلقتُ، وما يهزُّ قَراري
لكنني ما كنتُ أقدر حينها
أن أستريح من الأسى المَمّوارِ
أنا لست أكتممكم بأنّي كنتُ في
فَلَقٍ عليّ، وكنتُ في إصرارِ
ماذا جرى، لا شيءَ إلا أنني
أنكرتُ نفسي أيّما إنكارِ
إني أرى - هذا الصّباح - عبارةً
نُقِشتْ على جفني تقول: حَذارِ

وسمعتُ نَبْضَ القلبِ أعلَى نَبْرةٍ
وكأنَّه في حالةِ استنفارٍ
وشعرتُ أنَّ الشوقَ في قلبي إلى
داري وأهلي صار مثلَ النارِ
ما كان وجهُ الشمسِ حينَ رأيتهُ
طَلَقاً ولا متحرراً الإسفارِ
كانتْ مغبَّشةٌ تُحاطُ بهالةٍ
غبراءَ ترسمها خيوطُ غبارِ
وأنا أسابقُ كلَّ ما وصفوه من
ريحٍ ومن موجٍ ومن تيارِ
سيَّارتي تجتاز كلَّ إشارةٍ
حمراءَ في صلفٍ وفي استكبارِ
ومعارفُ المذيعِ تَمَلأُ مسمعي
نَقْماً يجسّدُ ثُورَةَ الأوتارِ
أنا خَلَفَ مِقْوَدِهَا الجميلُ أكادُ من
وهمي، أذُمُّ مَهارةَ الطيَّارِ
وكأنتي - في حينها - رَجُلٌ بلا
عقلٍ يحركُ وَعْيَهِ ويُداري

ما كنت أحسب أن رحلتي التي
 بدأت ستطوي صفحتي وتواري
 يا ضيعة الأيام، كيف صهرتها
 في لحظة محمومة الإصرار
 يا ضيعة الحلم الجميل تركته
 بيني السعادة في نفوس صغاري
 يا ليتني راجعت نفسي قبل أن
 تمضي إلى جسر الردى المنهار
 يا ليت، لو أن التمني نافع
 من غاص في دوامة الأخطار
 يا ليت قومي يعلمون فإنتي
 أخشى عليهم عقدة المنشار
 يا قوم، إني واحد منكم إلى
 حفر الفناء خرجت من أطماري
 أنهيت عمري كله في لحظة
 وبنيت دون أحبتي أسواري
 ما كنت في ساح الجهاد ولم أكن
 متصدياً لجحافل الكفار

ما كنتُ إلا سائقاً متهوراً
 متلبساً بطبائع الشُّطَّارِ
 هذا الحُطَّامُ أمامكم سيَّارةٌ
 خضراءُ، كانتَ زينةَ الأبصارِ
 كانت مجمَّلةً بأكمل زينةٍ
 موصولةً بالهاتف السَّيَّارِ
 أطلقْتُها للريح دونَ هَوَادَةٍ
 متجرِّداً من حكمتي ووقاري
 وأصابني مثلُ الجنونِ فلم أعدُ
 أدري إلى أيِّ الجهاتِ مَداري
 هي لحظةٌ مرَّتْ كومضةٍ بارقٍ
 نَقَضَ الفَنَاءُ بها خيوطَ إِزاري
 هذا الحُطَّامُ رسالةٌ مختومةٌ
 بدمي، فمن يُصَفِّي إلى إنذارِي؟



رامي

الرياض - الازدهار ٦/٧/١٤٢١هـ

«رامي جميل الدرة، الطفل الفلسطيني الذي قتله الصهاينة بين
يدي والده الجريح»

«صورة مأساوية لا تُسى».

يا رامي .. اجلس يا ولدي

وتجنب قصفهم الدامي

يا رامي .. اجلس من خلفي

وتترس منهم بعظامي

اجلس يا ولدي من خلفي

لا تنهض فالموت أمامي

طلقات رصاص، يا ويحي

الصق في ظهري يا رامي

طلقات رصاص، يا ويحي

ادخل في جسمي يا رامي

احذر فالأرض بما صنعوا

تتزلزل تحت الأقدام

طلقات رصاص .. يا أبتى

أسكت — يا ولدي — يا رامى

أفـديك بروحي يا أبتى

أسكت — يا ولدي — يا رامى

أحميك بجسمي يا أبتى

أسكت — فـالله — هو الحامى

احذر يا ولدي قد فتـحوا

رشاش الحـقـد المتنامى

طلقات رصاص .. صرخات

ترسم خـارطة الآلام

طلقات رصاص .. وسكون

يتحدث عن موت غلام

طلقات رصاص .. يا ويلي

يا فلذة كبـدي يا رامى

طلقات رصاص .. ما بالي

لا أسمع صوتك يا رامى

يا فرحة عمري يا ولدي

يا سر صـفائى يا رامى

ما بالُ يديكَ قد ارتختا
 ما بالُك تجمد يا رامي
 قل لي يا ولدي حـدُّـنـي
 بالغ في شتمي وخصامي
 لكنَّ يا ولدي لا تسكـتْ
 لا تقبلْ زهرة أحلامي
 أنفـاسُك يا رامي سكنت
 سكنت أنفـاسُك يا رامي
 هل مات حبيبي، هل طويتْ
 صفحـتـه قبل الإتمام؟؟
 يا أهل النخوة من قومـي
 من يَمَنِ العُربِ إلى الشام
 يا أهل صلاةٍ وخشوعٍ
 يا أهل لباس الإحرام
 يا كلَّ أبٍ يرحم ابنأ
 يا كلَّ رجال الإسلام
 يا أهل الأبواق أجيبوا
 يا أهل السُّبْقِ الإعلامي

يا هيئَةَ أممٍ مُقَفَدَةٍ
 تشكـو آلافَ الأورام
 يا مجلسَ خوفٍ أحسبُه
 أصبحَ ماجورَ الأقالام
 يا أهلَ العـولةِ الكـبرى
 يا أخـلصَ جندِ الحـاخـام
 يا من سـطـرتم مـأسـاتي
 ورفـعتم شـأن الأـقـزام
 يا أهلَ النـخـوةِ في الدنـيا
 أو لستم أنصارَ سلام؟
 أسـلامٌ أن تُسـرق أرضي
 أن يُقـتل في حـضـني رامي؟
 ما بالي، يتـلاشـى صـوتي
 لم أبـصرَ جـبـهـةَ مـقـدام
 طـلـقاتُ رصاصٍ .. أشـلاءُ
 نارٌ كـالحـمـةِ الإـضـرام
 طـلـقاتُ رصاصٍ .. صُـبـوها
 إن شئتم في قلبي الدامي

صَبُّهَا فِي هَامَةِ رَأْسِي
وَجَمِيعَ عُرُوقِي وَعِظَامِي
فَالآنَ تَسَاوَتْ فِي نَظْرِي
أَوْصَافُ ضِيَاءِ وَظِلَامِ
وَالآنَ تَشَابَهَ فِي سَمْعِي
صَوْتُ الرِّشَاشِ وَأَنْفَامِي
وَالآنَ سَيَمُكُّثُ فِي قَلْبِي
لَنْ يَرْحَلَ مِنْ قَلْبِي رَامِي
لَنْ أَنْسَى نَظْرَتَهُ الْعَطَشَى
لَنْ أَنْسَى مَبَسَّمَهُ الدَّامِي
لَنْ أَنْسَى الْخَوْفَ يَعلُّقُهُ
بِذِرَاعِي الْيُمْنَى وَحِزَامِي
حَاوَلْتُ اسْتِجْدَاءَ الْبَسَاطِي
وَبَعَثْتُ نِدَاءَ اسْتِزْجَامِ
لَكِنْ نِدَاءَاتِي اصْطَدَمَتْ
بِجَمْعِ قُلُوبِ الْأَصْنَامِ
هَلْ قَتَلُوا رَامِي .. مَا قَتَلُوا
فَحَبِيبِي مَصْدَرُ إِلْهَامِي

ما زال حبيبي يتَّبَعُنِي

ويسير ورائي وأمامي

سأجهُز إخوته حتى

يتألق فجرُ الإسلام



شموخ الصابرين

الرياض ١٧/١٠/١٤٢١هـ

«وقفه وداع شعري لابن عثيمين - يرحمه الله»

لحق الشيخ بركب الصالحين

فلماذا يا جراحى تنزفين؟

ولماذا يا فؤادى تشتكى

ولماذا يا دموعى تذرفين؟

رحل الشيخ عن الدنيا التي

كلُّ ما فيها - سوى الذكر - لعين

فارق الدنيا، وما الدنيا سوى

خيمة منصوبة للعابرين

فارق الدنيا التي تفنى إلى

منزل رَحْبٍ وجناتٍ، وعين

ذاك ما نرجو، وهذا ظنُّنا

بالذي يغفر للمستغفرين

رحل الشيخ على مثل الضُّحَى

من صلاحٍ وثباتٍ ويقين

فلمـاذا أيُّها القلبُ أرى
 هذه اللّوْعَة تسري في الوَتَيْنِ؟
 ولماذا يا حروفَ الشعر عن
 سرِّ آلامِ فؤادي تكشفين؟
 اتركي الحسرةَ في موقعها
 تتغذّي من أسي قلبي الحزين
 وارحلي بي رحلةً مُـوغلَةً
 في حياةِ العلماءِ الأكرمين
 واسلُكي بي ذلكَ الدَّرَبَ الذي
 ظلُّه يحمي وجوهَ السالكينِ
 يا حروفَ الشعر لا تُصْطحبي
 لغةَ الشعر إلى جُرحي الدَّفِينِ
 ربما أحرقها الجرحُ، فما
 صار للشعر فَمَّ يَروي الحنينُ
 واطركي لوعةَ قلبي، إنَّها
 تارةً تقـسسـو، وتاراتٍ تَلِينُ
 وادخلي بي واحدةَ العلم التي
 فُتحت أبوابُها للوافدين

عندها سوف ترى النبع الذي
 لم يزل يشفي غليل الظالمين
 شيخنا ما كان إلا علماً
 يتسامى بخشوع العابدين
 عالم السنة والفقهِ الذي
 هزم الله به المبتدعين
 لا نزكّيه، ولكننا نرى
 صوراً تلحّقه بالصادقين
 في خيوط الشمس ما يغني، وإن
 أنكرتها نظرات الغافلين
 راحل ما غاب إلا جسمه
 ولنا من علمه كنز ثمين
 ما لقيناه على درب الهوى
 بل على درب الهداة المهتدين
 لكأنني أبصر الدنيا التي
 بذلت إغراءها للناظرين
 أقبلت تعرض من فتنتها
 صوراً تسبي عقول الغافلين

رقصت من حوله، لكنّها
 لم تجد إلا سُمُو الزّاهدين
 أرسل الشيخ إليها نظرة
 من عزوف الراكعين الساجدين
 فمضت خائبة خاسرة
 تتحاشى نظرات الشّامتين
 أخرج الدنيا من القلب، وفي
 كفّه منها بلاغ الراحلين
 لم يكن في عزلة عنها، ولم
 يغلّق الباب عن المسترشدين
 غير أن القلب لم يشغل بها
 كان مشغولاً بربّ العالمين
 أوّما أعرض عنها قلبه
 سيّد الخلق، إمام المرسلين؟
 أيّها الشيخ، لقد علّمتنا
 كيف نرعى حرمة المستضعفين
 كيف نستشعر من أمّتنا
 صرخة التّكلى ودمع اللاجئين

كيف نبني همّة الجيل على
 منهج التقوى، ووعي الراشدين
 كنت يا شيخ على علم بما
 نالنا من غفلة المنهزمين
 قومنا ساروا على درب الردى
 فغدوا ألعوبة المستعمرين
 شرقوا حيناً وحيناً غربوا
 واستُبيحت أرضهم للفاصبين
 هجروا الصّالح من أفكارهم
 فتلقّتهم يدُ المستشرقين
 وارتموا في حُسن أرباب الهوى
 من ذيول الفاصب المستعربين
 ضيّعوا الأقصى وظنّوا أنّهم
 سوف يحظّون بِسِلم المعتدين
 فإذا بالفارس الطفل على
 هامة المجد ينادي الواهمين
 صاغها ملحمة قُدسيّة
 ذكّرنا بشموخ الفاتحين

قَالَهَا الطُّفْلُ، وَقُلْنَا مَعَهُ

إِنَّ بَيْعَ الْقُدْسِ بَيْعُ الْخَاسِرِينَ

أَيُّهَا الشَّيْخُ الَّذِي أَهْدَى لَنَا

صُورًا بِيَضَاءٍ مِنْ عِلْمٍ وَدِينٍ

لَمْ تَكُنْ تَغْفُلُ عَنْ أُمَّتِنَا

وَضَلَالَاتِ بَنِيهَا الْعَابِثِينَ

كَنتَ تَدْعُوهَا إِلَى دَرَبِ الْهُدَى

وَتَنَادِيهَا نِدَاءَ الْمَصْلُوحِينَ

قُلْتَ لِلْأُمَّةِ، وَالْبُؤْسُ عَلَى

وَجْهِهَا الْبَاكِ غِبَارٌ لِلْأَنِينِ:

إِنَّمَا تَغْسِلُ هَذَا الْبُؤْسَ عَنْ

وَجْهِكَ الْبَاكِ، دَمْعُ الْتَائِبِينَ

أَيُّهَا الشَّيْخُ الَّذِي وَدَّعْنَا

عَالِيَ الْهَمَّةِ وَضَّاحَ الْجَبِينِ

نَحْنُ نَلْقَاكَ وَإِنْ فَسَارَقَسْتَنَا

فِي عُلُومٍ بِقِيَّتٍ لِلرَّاغِبِينَ

أَنْتَ كَالشَّمْسِ إِذَا مَا غَرَبْتَ
 أَهَدْتَ الْبَدْرَ ضِيَاءَ الْمُدْلَجِينَ
 أَنْتَ مَا وَدَّعْتَنَا إِلَّا إِلَى
 حَيْثُ تُؤْوِيكَ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ
 إِنَّ بِكَيْنَاكَ فِإِنَّا لَمْ نَزَلْ
 بِقَضَاءِ اللَّهِ فِينَا مُوقِنِينَ
 فِي وَفَاةِ الْمُصْطَفَى سَلَوَى لَنَا
 وَعِزَاءً عَنْ وَفَاةِ الصَّالِحِينَ
 ذَلِكَ الرُّزُّ الَّذِي اهْتَزُّ لَهُ
 عَمْرُ الْفَارُوقِ ذُو الْعَقْلِ الرَّزِينِ
 مَاتَ خَيْرُ النَّاسِ، هَذَا خَبَرٌ
 تَرَكَ النَّاسَ حَيَارَى تَائِهِينَ
 طَاشَتْ الْأَبَابُ حَتَّى سَمِعُوا
 مَا تَلَا الصَّدِيقُ مِنْ قَوْلٍ مُبِينٍ
 لَا يَعِزُّنَا عَنْ الْأَحْبَابِ فِي
 شِدَّةِ الْهَوْلِ سِوَى مَوْتِ الْأَمِينِ
 إِنَّهَا الرُّوحُ الَّتِي تَسْمُو بِنَا
 وَيُظَلُّ الْجِسْمُ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ

يَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَكِنَّا عَلَى

حُزْنِهِ نَبْنِي شُمُوحَ الصَّابِرِينَ

كُلُّنَا نَفْسِي وَيَبْقَى رَبُّنَا

خَالِقُ الْكَوْنِ مِلَادُ الْخَائِفِينَ



رسالة الأشلاء

الرياض ١٢/٢/١٤٢٥هـ

«من أشلاء أحمد ياسين إلى من يطَّلَع عليه من المسلمين»

أَسْكِنُوا صَوْتَ بُكَاءٍ وَنُوحٍ

واثبتوا كالطَّودِ في وجه الرِّيح

اتركوني، واتركوا أشلاءً جسمي

والدَّم المسفوح في أرض الكفاح

لَمْ تَبْكَوْنَ عَلَى جِسْمٍ قَعِيدٍ

قَيَّدَتْ رَجْلِيهِ آثَارُ الْكُسَاحِ؟

جَسَدٌ أَصْبَحَ أَشْلَاءً وَطَارَتْ

نَفْخَةُ الرُّوحِ إِلَى أَكْرَمِ سَاحِ

قَطَعُ الْجِسْمِ الَّتِي أَبْصَرْتُمُوهَا

دُرَّرَ تُهْدَى إِلَى الْأَقْصَى الْمُبَاحِ

صُورَةُ الْأَشْلَاءِ الْفَاطِظُ شَمْوَخِ

عَبَّرَتْ لِلْكَوْنِ عَنْ مَعْنَى انْشِرَاحِي

أَنَا لَمْ أَشْعُرْ بِصَارُوخِ الْأَعَادِي

كَانَ كَالْوَخْزَةِ فِي رِيشِ جَنَاحِي

إِنَّ أُمَّتَ فَاَلْمَوْتُ بَابٌ يَتَلَاقِي
 عِنْدَهُ الْوُرَادُ مِنْ كُلِّ النَّوَاحِي
 مَاتَ قَبْلِي أَنْبِيَاءُ اللَّهِ، مَاتَتْ
 أُمَمٌ ذَاتُ سَيْفٍ وَرَمَاحِ
 سَأَلُوا التَّارِيخَ عَنْ قَتْلِي وَجَرَحِي
 وَبَكَاءٍ وَأَنِينٍ وَصَيْيَاحِ
 اقْرَؤُوا تَجْرِبَتِي، كُنْتُ قَعِيداً
 فَوْقَ كُرْسِيِّ غُدُوِّي وَرَوَاحِي
 لَمْ تَقِفْ رُوحِي وَرَاءَ الْجِسْمِ حَيْرِي
 بَلْ تَعَدَّتْهُ إِلَى كَسْبِ النَّجَاحِ
 أَخْرَجُوا مِنْ خَنْدَقِ الذُّلِّ وَسَيَرُوا
 بِثَبَاتٍ وَشُمُوخٍ وَانْفِتَاحِ
 أَتْرَكُوا عَنْكُمْ مُلَاحَاةَ الْأَعَادِي
 إِنَّمَا يَخْسِرُ مِنْكُمْ مَنْ يُلَاحِي
 ضَجَّةَ الْإِعْلَامِ فُقَاعَاتٍ وَهَمِ
 تَتَلَاشِي حِينَ يُدْعَى لِلْفُلَاحِ
 زَاوَرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ لَيْثٍ غَابِ
 يَتَلَاشِي عِنْدَهَا صَوْتُ النَّبَاحِ

اسألوا بابلَ عن وجهِ المثنّى
 واسألوا حطينَ عن وجهِ صلاح
 يابني الإسلامِ يا أحفادَ سعدٍ
 وصُـهـيبٍ وبلالِ بنِ رباحٍ
 قيّدوا الحزنَ بقيد الصُّبر
 حتى تُبصر العينُ تباشيرَ الصُّباح
 أسمعوا عشاقَ دنياكم حديثاً
 وانقلوا عنا بالفاظٍ فصاح:
 قَطْرَةٌ من كوثرِ الحُلْدِ تساوي
 كلَّ مافي الأرضِ من ماءٍ قَرّاحٍ
 لا تظنُّوا أَدْمَعَ العينِ سَتُّفني
 مَنْ بكى، عن وَقْفَةِ الحقِّ الصُّراح
 إنما الدَّمْعُ بيانٌ عن جراحٍ
 والبطولاتُ دَوَاءٌ للجـراح
 فامسحوا أَدْمَعَكُمْ واحتسبوني
 واحملوا في ساحةِ الحقِّ سِلاحِي

وداع مرابط في قمم الشيشان

الرياض ٢/٣/١٤٢٥هـ

إلى ذكرى المجاهد «أبي الوليد الغامدي»

الذي اغتالته يد غادرة في قمم الشيشان:

هناك فوق جبالِ المجد كنتَ على

وعدٍ مع المجد، كان المجد مُحْتَفِلًا

قالوا: خلعتَ رداءَ الذُلِّ، قلتَ: أَجَلْ

قالوا: وصلتَ، فقلتَ: الحُرُّ مَنْ وصلا

خرجتَ من شهوة الدنيا، وشُبِّهْتَها

مجاهداً طَلَّقَ التَّسْوِيفَ والكَسْلَا

تركتَ أُمَّتًا تطوي مَفَازَتَها

إلى الوراءِ، ويرضى عقلُها الخَطَلَا

تخوضُ لُجَّةَ أفكارٍ مُضَلَّلَةٍ

وتمتطي من خيول الراي ما هَزَلَا

تركتها ورحى الأحداثِ تطحنها

وتطحن الحُلُمَ الوردِيَّ والأَمَلَا

أَسْرَجْتَ عِزْمَكَ خَيْلاً عِزّاً رَاكِبُهَا
 فَفَقَرَيْتَ لَكَ بُعْداً، وَطَأَّتْ جَبَلاً
 وَأَبْلَفْتِكَ مِنَ الْعِلْيَاءِ مَا أَمْنَهَا
 هُنَاكَ حَيْثُ تَرَى مِنْ تَحْتِهَا زُحْلاً
 أبا الوليد، على الشيشان ملحمة
 تَرَوِي لَنَا مِنْ حَدِيثِ الصَّبْرِ مَا جَمُلاً
 تَرَوِي لَنَا قِصَصاً عَنْكُمْ تَبَشِّرُنَا
 تُعِيدُ مِنْ هَارِبِ الْأَحْلَامِ مَا جَفَلاً
 تقول: ما الموج، ما الإعصارُ حين تَرَى
 سَفِينَةَ الْمَجْدِ فِيهَا قَائِداً بَطَلاً
 رَأَيْتَ أَنْتَ سَهَامَ الظُّلَمِ مُشْرِعَةً
 فِيهَا، وَأَبْصَرْتَ فِي سَاحَاتِهَا خَلَّالاً
 رَأَيْتَ مَجْلِسَ أَمْنِ الْقَوْمِ خَوْفُهَا
 فَكَانَ أَسْرَعُ مَنْ عَادَى وَمَنْ خَذَلَ
 وَأَغْضَتِ الْهَيْئَةُ الشَّمْطَاءُ مَقْلَتَهَا
 عَنْ كُلِّ مَنْ رَدَّدَ الدَّعْوَى وَمَنْ قَتَلَ
 وَلَا مَسَتْ سَمْعَكَ الْأَزْدِيَّ صِرْخَتُهَا
 فَصُوِّرَتْ لَكَ مِنْهَا خُطْبُهَا الْجَلَّالَ

لَمَّا اسْتَغَاثَتْ بِنَا فِي لَيْلٍ وَحَشَتْهَا
سَبَقَتْ أَنْتَ إِلَيْهَا السَّيْفَ وَالْعَدْلَا
رَحَلْتَ تُرْخِي عِنَانَ الْحَزْمِ فِي زَمَنِ
شَمُوخُ أُمَّتِنَا عَنْ أَرْضِهَا رَحَلَا
لَمْ تَتَعَطَفْ نَحُونَا تَرْمِي اللَّهَيْبَ لَنَا
كَمَا رَمَاهُ لَنَا مَنْ غَيَّرُوا الْعَمَلَا
مَنْ أَوْقَدُوا النَّارَ فِينَا، فِي مَرَابِعِنَا
وَمَنْ تَتَطَّعَ فِي إِسْلَامِهِ وَغَلَا
وَمَنْ أَثَارَ لَنَا فِي كُلِّ حَادِثَةٍ
جُرْحاً تَوَغَّلَ فِي الْأَعْمَاقِ وَاشْتَعَلَا
أَبَا الْوَلِيدِ كَأَنِّي بِالرُّبِيِّ احْتَفَلْتُ
خِصْباً، وَأَهْدَتِكَ مِنْ أَزْهَارِهَا حُلَلَا
جِبَالُ قَرِيَّتِكَ الْخَضِرَاءُ مَا فَتِنَتْ
تُرْوِي أَحَادِيثَهَا عَنْ كُلِّ مَا حَصَلَا
رَأَيْتُكَ فِي قَمَمِ الشَّيْشَانِ مَمْتَطِياً
عِزْماً يُبْعَدُ عَنْكَ الْخَوْفُ وَالْوَجَلَا
فَأَقْسَمْتُ أَنَّكَ الْأَوْفَى لَهَا خُلُقاً
لَمَّا تَرَكْتَ خِصَامَ النَّاسِ وَالْجَدَلَا

رَحَلْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَنَا نَسَائِلُهَا
 عَمَّنْ تُحِبُّ، لَقَالَتْ: ذَلِكَ الرَّجُلُ
 حَيَّيْتُ فِيكَ أَبَاكَ الشَّهْمَ حِينَ بَنَى
 حَصْنًا مِنَ الصَّبْرِ بِالْإِيمَانِ وَأَحْتَمَلَا
 عَزِيَّتَهُ بَعْدَ أَنْ هَنَأَتْهُ، فَلَقَدْ
 رَأَيْتَهُ عَاشَ فِيكَ الْحُزْنَ وَالْجَدْلَا
 هَنَأْتُ أُمِّكَ، أَرْجُو أَنْ تَرَكَ وَقَدْ
 حَبَبَاكَ رَبُّكَ فِي جَنَاتِهِ نُزُلًا
 أَبَا الْوَلِيدِ، إِنْ اغْتَالُوكَ مَغْتَرِبًا
 مَرَابِطًا، فَشَمُوخٌ عِنْدَكَ اكْتِمَلَا
 يَا وَيْلَ مَنْ غَدَرُوا، يَا بُؤْسَ مَنْ خَدَعُوا
 وَيَا تَعَاسَةً مَنْ أَوْصَى وَمَنْ فَعَلَا
 سَأَلْتُ عَنْكَ سَحَابَ الْمَجْدِ: أَيْنَ غَدَا؟
 فَكَانَ خَيْرُ جَوَابٍ: إِنَّهُ هَظَلَا
 نَعَمْ هَظَلْتُ عَلَى أَحْلَامِنَا مَطْرًا
 بِمَائِهِ الْعَذْبَ رَوْضُ الْهَمَّةِ اغْتَسَلَا
 لَوْلَا شُعُورُ الْأَسَى مِنْ غَدَرِ غَادِرِهِمْ
 لَفَرَّدَ الشَّعْرَ بِالْأَفْرَاحِ وَاحْتَفَلَا.

يا فارس الكرسي

الرياض ١٤٢٥/٢/١ هـ

عزاء إلى كل مسلم في وفاة الشيخ أحمد الياسين رحمه الله.

هَمْ أَكْسَبُوكَ مِنَ السُّبَاقِ رِهَانَا

فَرَبِحْتَ أَنْتَ وَأَدْرَكُوا الْخُسْرَانَا

هَمْ أَوْصَلُوكَ إِلَى مُنَاكَ بَغْدَرِهِمْ

فَأَذَقْتَهُمْ فَوْقَ الْهَوَانِ هَوَانَا

إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَكُونَ بِنَارِهِمْ

لَمَّا رَمَوْكَ بِهَا، بَلَفْتَ جِنَانَا

غَدَرُوا بِشَيْبَتِكَ الْكَرِيمَةِ جَهْرَةً

أَبْشَرَ فَقَدْ أَوْرَثْتَهُمْ خِذْلَانَا

أَهْلُ الْإِسَاءَةِ هُمْ، وَلَكِنْ مَادَرُوا

كَمْ قَدَّمُوا لَشِمُوكِ الْإِحْسَانَا

لَقِبَ الشَّهَادَةِ مَطْمَحٌ لَمْ تَدْخُرْ

وُسْعاً لَتَحْمِلَهُ فَكُنْتَ وَكَانَا

يَا أَحْمَدُ الْيَاسِينَ، كُنْتَ مَفْوْهًا

بِالصَّمْتِ، كَانَ الصَّمْتُ مِنْكَ بَيَانَا

ما كنت إلا همّة وعزيمة
 وشموخ صبر أعجز العدوانا
 فرحي بنيل مُناك يمزج دمعتي
 ببشارتي ويُخفّف الأحزاننا
 وثقت بالله اتصالك حينما
 صليت فجرك تطلب الغفرانا
 وتلوت آيات الكتاب مرتلاً
 متأملاً تتدبر القرآننا
 ووضعت جبهتك الكريمة ساجداً
 إن السجود ليرفع الإنساننا
 وخرجت يتبعك الأحبة، ما دروا
 أن الفراق من الأحبة حانا
 كرسيك المتحرك اختصر المدى
 وطوى بك الآفاق والأزماننا
 علمته معنى الإباء، فلم يكن
 مثل الكراسي الراجفات هواننا
 معك استلذ الموت، صار وفاؤه
 مثلاً، وصار إباؤه عنواننا

أشلاء كُرسِيَّ البطولةِ شاهدٌ
عَدَلٌ يُدينُ الغادرَ الخَوَّانا
لكأنني أبصرت في عجلاته
ألماً لفقدك، لوعةٌ وحنانا
حُزنًا لأنك قد رحلت، ولم تُعدْ
تمشي به، كالطَّود لا تتوانى
إني لَتَسأَلُنِي العِدالةُ بعد ما
لَقِيتُ جحود القوم، والنكرانا
هل أبصرت أجفانُ أمريكا اللَّظَى؟
أم أنَّها لا تملك الأجفانا؟
وعيون أوروبا تُراها لم تزلْ
في غفلةٍ لا تُبصر الطفيانا
هل أبصروا جسداً على كُرسِيَّه
لمَّا تنأثر في الصَّبَّاح عِيانا؟
أين الحضارة أيها الغرب الذي
جعل الحضارةَ جمرةً، ودخاناً؟
عذراً، فما هذا سؤالٌ تعطفُ
قد ضلَّ مَنْ يستعطف البركانا

هذا سؤال لا يجيد جوابه

مَنْ يعبد الأهواء والشيطان

يا أحمد الياسين، إنَّ ودَّعتنا

فلقد تركت الصّدق والإيمان

أنا إنَّ بكيتُ فإنَّما أبكي على

مليارنا لمّا غدوا قطعانا

أبكي على هذا الشّتاتِ لأمتي

أبكي الخلافَ المرّ، والأضفانا

أبكي ولي أمل كبير أن أرى

في أمتي مَنْ يكسر الأوثان

يا فارس الكرسيّ، وجهك لم يكن

إلاّ ربيعاً بالهدى مُزداناً

في شَعْر لحيتك الكريمة صورة

للفجر حين يُبشّر الأكوانا

فَرِحْتَ بك الحورُ الحسانُ كأنتي

بك عندهنَّ مُفَرِّداً جَذَلانا

قدّمتَ في الدنيا المهورَ ورثما

بشموخ صبرك قد عقدتَ قِرانا

هذا رجائي يا ابنَ ياسينَ الذي
 شَيَّدْتُ في قلبي له بنيانا
 دُمُكَ الزَّكِيُّ هو الينابيعُ التي
 تسقي الجذور وتتعش الأغصانا
 رَوَّيْتَ بستانَ الإِبَاءِ بدفقه
 ما أجملَ الأنهارَ والبساتنا
 ستَظِلُّ نجماً في سماءِ جهادنا
 يا مُقْعَداً جعلَ العدوَّ جباناً



قَلْعَةُ الْعِلْمِ

الرياض ٢٧/١/١٤٢٠هـ

«مع العزاء الصادق إلى كل مسلم»

خَفَقَانُ قَلْبِ الشَّعْرِ، أَمْ خَفَقَانِي

أَمْ أَنَّهُ لَهَبٌ مِنَ الْأَحْزَانِ

مَاذَا يَقُولُ مُحَدَّثِي؟ أَحَقِيقَةٌ

مَا قَالَ، أَمْ ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ؟

مَا لِي أَرَى الْفَاضِلَ كَحَجَّارَةٍ

تَرْمِي بِهَا الْأَفْوَاهُ لِلْأَذَانِ؟

«الشَّيْخُ مَاتَ» عِبَارَةٌ مَا خَلَّتْهَا

إِلَّا كَصَاعِقَةٍ عَلَى الْوُجْدَانِ

أَوْ أَنَّهَا مَوْجٌ عَنِيفٌ جَاءَنِي

يَقْتَادُ نَحْوِي ثَوْرَةَ الْبَرْكَانِ

يَا لَيْتَنِي اسْتَوْقَفْتُ رَنَّةَ هَاتِفِي

قَبْلَ اسْتِمَاعِ نِدَاءِ مَنْ نَادَانِي

أَوْ أَنَّنِي أَغْلَقْتُ كُلَّ خَطْوَةٍ

مَتَخَلِّصاً مِنْ صَوْتِهِ الرَّنَّانِ

«الشيخ مات» أما لديك عبارة

أخرى، تُعيد بها اتزانَ جناني

قل لي - برِّيك - أيُّ شيءٍ، ربما

أنقذتني من هذه الأشجانِ

قل لي - برِّيك - أيُّ شيءٍ، قال لي

عجباً لأمرِكَ يا فتى الفتیانِ

أنسيتَ أن الموت حقٌّ واقعٌ

ونهايةٌ كُتِبَتْ على الإنسانِ؟!

أنسيتَ أن الله يبقى وحده

وجميع مَنْ خلق المهيمُنُ فان؟

أنسيتَ؛ لا والله لكني إلى

باب الرجاء هربتُ من أحزاني

«الشيخ مات»، صدقتَ، إني مؤمنٌ

بالله، مجبولٌ على الإذعانِ

الشيخُ، لا بل قَلْعَةُ العلم التي

مُلِئَتْ برأي صائبٍ وبيانِ

هو قَلْعَةُ العلم التي بُنِيتْ على

ثقةٍ بعون الخالق المنانِ

وأمامها هُزِمَتْ دعاوى ملحدٍ
 وارتدَّ موجُ البغي والبهتانِ
 وتطायرت شُبُه العقول لأنَّها
 وجدتُ بناءً ثابتَ الأركانِ
 أنستَ بها نَجْدٌ، ومَهَبْتُ وحينا
 واسترشد القاصي بها والداني
 هو قَلْعَةٌ ظَلَّتْ تُحَاطُ بروضةٍ
 خضراءَ مِنْ ذِكْرِ وَمِنْ قرآنِ
 صانَ الإلهُ بها عَقِيدَةَ أمةٍ
 في عصرنا المتذبذبِ الحيرانِ
 ماذا تقول قصائدُ الشعرِ التي
 صارتَ بلا ثغرٍ ولا أوزانٍ؟
 ماذا تقول عن «ابن بازٍ» إنها
 ستظلُّ عاجزةً عن التُّبيانِ؟
 ماذا تقول عن التواضعِ شامخاً
 وعن الشموخِ يُحَاطُ بالإيمانِ؟
 ماذا تقول عن السَّماحةِ والنُّهى
 عن فقه هذا العالم الرِّبَّاني؟

مات «ابن باز» للقوائد أن ترى
 حُزْنَ القلوب، وأدمعَ الأجفانِ
 في عينِ «طَيِّبَةَ» أدمعَ فيأضةً
 تلقى دموعَ الطائفِ الولهانِ
 «والخرجُ» تسألُ و«الرياضُ» و«مكةُ»
 عن قصةٍ مشهورةٍ العنوانِ
 عن قصة الرجل الذي منحت له
 كلُّ القلوبِ مشاعرَ اطمئنانِ
 ما زلتُ أذكرُ صوته يسري إلى
 أعماقنا بمودةٍ وحنانِ
 يفتي وينصح مرشداً وموجهاً
 ومعلماً للناس دونَ تَوَانِ
 «نورٌ على الدرب» ارتوى من فقهه
 وسرتْ منابعُه إلى الظمآنِ
 يا ربَّ قد أصغتُ إليك قلوبُنَا
 وتعلقتُ بك يا عظيمَ الشَّانِ

«الشيخ مات»، عليه أنْدَى رحمةٍ

وأجلٌ مففرةٍ من الرحمنِ



ماذا تقول، وألفُ سهمٍ سُدَّتْ

في قلبها المتلهف العطشانِ

ماذا تقول، ولم تُعدّ كلماتُها

تقوى على السَّريَّانِ فوق لسانِي

ماذا تقول قصائد الشعر التي

فُجِعَتْ بفقدِ أبٍ جليلٍ مكانِ



مهدي ابن سحاب

الرياض ٢/٣/١٤٢٢هـ

«وقفة شعريّة بين مرحلتين»

قامّة القرية تَمْتَدُّ احتراماً

وغصونُ الشجر الأخضر....

تهتزُّ سلاماً

حينما يمتزج الفجرُ بصوتٍ صارخ....

يدعو النياماً

حينما يصرخ «مهدي»

ذلك الشَّهْمُ الذي لم يدَّخرْ وسعاً...

ولم يبخلْ بجُهدٍ

زَنَدَهُ زَنَدُ بعيرٍ...

هكذا قال الرواة

طُرُقَاتِ القرية امتدَّتْ بساطاً سُندسياً...

يزدهي حين يراه

أصبحتْ تشتاقُ أن تمشيَ عليها قَدَمَاهُ

أدمنتْ وَقَعَ خُطَاهُ

أقسموا أن طريق الشَّعبِ تهتزُّ....

إذا سار عليها

أقسموا أن المواشي تتراخي...

حينما يدنو إليها

إنه «مَهْدِيّ ابنُ سَحَابٍ».....

هلالِي البطولةُ

هو رَمَزُ القريةِ الأوَّلُ في معنى الرُّجولةِ

هو مفتولُ الذَّرَاعَيْنِ عريضُ المنكبينِ

واسعُ الجبهةِ كَثُّ الحاجبينِ

مستديرُ الوجهِ، كَثُّ اللحيةِ السُّوداءِ....

مفتولُ اليدينِ

إنه «مَهْدِيّ ابنُ سَحَابٍ».....

له عَزْمٌ أكيدٌ

وله قَلْبٌ كجلمودٍ من الصَّخْرِ.....

واحساسٌ حديدٌ

وله عَيْنَانِ حَمْرَاوَانِ من فوقهما جَفَنٌ شديدٌ

لم يكن منطوي القلبِ على خُبثِ السَّريرةِ

هو شَهْمٌ، هو عملاقٌ شديدٌ...

هو حصنٌ للعشيرة

هو بابٌ مغلقٌ في وجه أنذالِ البشر

هو كالسيل إذا جادت به السُّحْبُ.....

وفي الوادي انحدر

قلبه الطيب يقدو - حينما يفضب -.....

من جنس الحجر

عينه كالجمرة الحمراء، في وقت الفَضْبِ

كم رمى خصماً على الأرضِ وأدْمَى وضرب

ولكم صارع قرناً وغلب

هو لا ينفر من شيءٍ كما ينفر من سوء الأدب

جسمه الملفوفٌ يُوحي..

أنه جِسْمٌ بطل

يدُه الشَّتَّةُ رَمَزٌ للعمل

هو لا يعرف معنىً للكسل

زاده خبزٌ من البرِّ وسمَنٌ وعسل

هو لا يشربُ إلا لبنَ الشُّكْوَةِ.....

والماء من البئر التي تسقي القبيلة
هو لا يقبل إلا عادة القوم الأصيلة
هو لا يرضى بأن يُبصر في القرية عادات دُخيلة
إنه "مهدي ابن سحاب" له طلعة فارس
هو في البيت وفي الوادي عصامي وحارس
زنده زنده بعير....

هكذا قالوا... وفي صرخته رعد وأوصاف هدير
رجله خف جمل
كفه كف عمل

هو لا يعرف معنى للوجل
حينما يضحك يهتز كما تهتز أكتاف جبل
إنه "مهدي ابن سحاب" قريب الدمع....
لما يتألم

كم بكى حزناً على من فارقوا الدنيا وهمهم
ولكم زار مريضاً فبكى....

حتى يظن الناس أن الجبل الضخم تحطم
هو لما يسرح الوادي...

يغني بعض أشعار الزجل

صوته يصبح - من رقته - أجمل صوت للغزل

كان يشجي كل قلب...

حينما ينساب في ترجيع «الحن الجبل»

إنتي أذكره يرسم في القرية وجهاً للإباء

كان يمشي مشية تتكر سير الضعفاء

رجل ما كان إلا من أعاجيب الرجال

لم يكن ذا منصب في الناس أو صاحب مال

إنه «مهدي ابن سحاب» وكفيك المقال

مرت الأيام...

لا، بل ركضت ركضاً عجيباً

لم تدع في ركضها شيئاً قريباً

جرت الناس....

ولم تترك لأهل الدار في الدار نصيباً

مرت الأيام تترى

كل شهر لم يعد يلحق شهراً

ورياح «الطفرة» اجتاحت من القرية شطراً

ومن العادات شَطَرًا

ومن الأخلاق شَطَرًا

ومن الراحة في الأنفُسِ شَطَرًا

مَرَّتِ الأَيَّامُ تَتَرَى

سَنَةً تَحْصِدُ أُخْرَى

غَيَّرَتْ قَرِيئَتَا وَعْيًا وَإِحْسَاسًا وَفَكْرًا

غَيَّرَتْ زَيْدًا، وَلَمْ تَتْرِكْ عَلَى مَا كَانَ عَمْرًا

أَيْنَ ذَاكَ الرَّجُلُ الشَّهْمُ الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ؟

أَيْنَ مَنْ يَخْشَى عُصَاةَ النَّاسِ بِأَسَةِ؟

أَيْنَ مَنْ كَانَ يَهْزُ الْأَرْضَ هَزًّا...

وَيُشِيرُ الرُّعْبَ فِيهَا حِينَما يَحْمِلُ فَأْسَهُ؟

أَيْنَ ذَاكَ الرَّجُلُ الْمُفْتُولُ عَزْمًا وَبَطُولَةً؟

أَيْنَ مَنْ يَرْفَعُ مِيزَانَ الرَّجُولَةِ؟

أَيْنَ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْخَوْفَ وَلَا يَنْسَى أُصُولَهُ؟

أَهُوَ فِي الْوَادِي وَرَاءَ السَّانِيَةِ؟

يَحْرَثُ الْأَرْضَ عَلَى مَرَأَى الْغُصُونِ الدَّانِيَةِ؟

أَمْ هُوَ الْآنَ عَلَى أَطْرَافِ تِلْكَ الرَّايِيَةِ؟

يَطْرُدُ الْغُرَبَانَ عَنْ مَزْرَعَةِ التِّينِ...

وَيَسْتَوْقِفُ مَاءَ السَّاقِيَةِ؟

أَيْنَ مَنْ قَلْتُمْ «لَهُ زَنْدٌ كَمَا زَنْدُ الْبَعِيرِ»؟

أَيْنَ مَنْ يَقْفِزُ كَاللَّيْثِ إِذَا صَاحَ النَّفِيرُ؟

أَيْنَ مَنْ تَقْدَحُ عَيْنَاهُ الشَّرَرُ؟

أَيْنَ مَنْ يُقَدِّمُ لَا يَخْشَى الْخَطَرَ؟

وَيَحْكُمُ، مَا بِأُكْمٍ لَا تَتَطَقُونَ؟

عَجَبًا، مَاذَا تَرَى عَيْنَايَ؟

دَمْعٌ فِي الْجَفُونِ؟!

وَيَحْكُمُ... بِاللَّهِ قُولُوا، أَيْنَ مَهْدِي؟

إِنَّهُ يَا قَوْمُ جَدِّي

سَكَتَ الْقَوْمُ وَمَا أَقْسَى السَّكُوتَ!

حِينَمَا يَحْمِلُ مَعْنَى الْحُزَنِ....

مَا أَقْسَى السَّكُوتَ!

سَكَتَ الْقَوْمُ، وَكَانَ الصَّمْتُ قِصَّةً

تَسْرُدُ الْحُزْنَ عَلَى قَلْبِي....

وَقَلْبِي فِيهِ غُصَّةٌ

أين مهدي؟...

هو في دار النقاها

ويحكم، أقصدُ جدِّي؟!

هو في دار النقاها

ويحكم، وانصرفوا عني وفي عقلي ذُهلُ

فتوجَّهْتُ إلى الدار وأزَمَعْتُ الدُّخُولُ

حينها امتدَّتْ على «الباحة» أطيافُ الأصيلِ

وأنا أستجمع العزمَ الذي صار...

إلى الضَّعْفِ يميلُ

أين مهدي؟!

قال لي: في الغرفة اليمْنَى وفي الرُّكنِ اليمِينُ

وتقدَّمتُ...

وفي قلبي اشتعالاتُ أنينُ

يا إلهي، يا أمانَ الخائفينَ

إنَّ عيني لا ترى إلا بقايا من حُطَّامِ

يا رعاكَ اللهُ يا جدِّي الهُمامِ

كيف أضحى ذلك العملاقُ كالعصفور في هذا المقام؟!

كيف أضحى زَنَدُهُ المفتولُ كالعودِ..

وما هذي العظام؟!

أوما كانت له عينان حمراوان.....

من دونهما جفنٌ شديدٌ

يا إلهي....

صارتا ثَقْبَيْنِ محفورينِ في غارٍ بعيدٍ

حينما حيَّيتُ حيَّانِي بعينِ باكيةٍ

أرسلتُ نظرتَها نحوي جفوناً واهيةً

ربما كانت أنيناً وجراحاً خافيةً

آه يا جدّاه، ما هذي الرِّيحُ العاتيةُ



أيُّها السائلُ مهلاً، وتأمّلْ ما جرى

إنَّها الأعوامُ تسري مثلما الطَّيفُ سرى

إنَّها الأعوامُ.....

كم من حاضرٍ غابَ، وكم من غائبٍ عَنَّا حَضَرَ

إنَّها الأعوامُ.....

كم جيلٍ تلاشى واندثرَ

نقلت مهدي بن سحابٍ كما تتقلُّ آلاف البشر
شعره الأسودُ غطاءً بياضٌ وانحسرَّ
جسمه الملفوفُ هدته الليالي فانصهرَّ
ظهره أصبح كالعرجونِ والوجه ضمَّر
صوته أصبح لا يُسمعُ إلا مَنْ دنا ممَّن حضرَّ
إنَّها الأعوامُ.....

مَنْ يسلمُ من الموتِ فلن يسلمَ مِنْ ضَعْفِ الكِبَرِ
ليت شعري - يا أخا جدِّي -.....

إلى أين المسيرُ؟

يا تُرى.... هل أنت مهدي أيُّها المُقعدُ في هذا السريرُ؟
أنت ذاك الرجلُ العملاقُ ذو الصوت الجهيرُ؟
أنت مهدي؟ ربَّما.... لكنني أقسمُ ما أنت لنا إلا نذيرُ
ليت شعري - يا أخا جدِّي - ...

إلى أين المسيرُ؟

لم يُجبني....

إنما قال لسانُ الحقِّ: هذي رحلةُ الناسِ...

إلى ربِّ غفورٍ

«أسود الشيشان»

الباحة - عراء ٢٦/٤/١٤٢٢هـ

«أنشودةٌ لأعراس الشهادة»

أخا الجهاد، وللجبال رنينٌ

مما تراه، وللقلوب أنينٌ

ولكل وجهٍ بالترابٍ معفرٍ

شفةٌ تقول: دمُ الثَّقيِّ ثمينٌ

ولكل عينٍ أرسلت عَبراتها

نظراتُ حُبٍّ، كلُّهنَّ شجونٌ

ولكل سهمٍ في المِعارك نافذٍ

صوتٌ يردد: خِبتَ يا لينينُ

ولكل رشاشٍ حديثٌ صادقٌ

يشقى بصدقٍ حديثه «بوتينُ»

أخا الجهاد، فمُ القصيدةِ لم يزلْ

يشدو، وطالعُ لحنِها ميمونٌ

لمَّا رآك الشعرُ هزَّ حروفه

طرباً، وطاوعتِ الحروفُ لحونُ

رفعت إليك الصافات رؤوسها
 وتطامنت منها إليك متون
 اركب خيول المجد، إن ظهورها
 حصن لحراس الثغور حصين
 واصعد بها قمم الشموخ، فإنما
 بجهدٍ مثلك، ركضهن يزين
 أخا الجهاد، خرجت من سجن الهوى
 يا بُؤسَ مَنْ هو في هواه سجين
 طلقت وهم الفافلين وإنما
 غرّت قلوب الفافلين ظنون
 وخرجت من سجن التوجس، إنما
 يشكو التوجس خائف مفتون
 ما زلت تسعدنا بهمتك التي
 ما عاد ينفع عندها التخمين
 سطرّت في قمم الجبال بطولة
 مَنْ لم يسطر مثلها مغبون
 سعدت بها الشيشان وهي حزينة
 قد يسعد الإنسان وهو حزين

ماذا تقول خُطَاكَ في جُنَحِ الدُّجَى

ماذا يقول الجَوْهَرُ المَكْنُونُ؟

النَّصْرُ أَوْ عُرْسُ الشَّهَادَةِ دُونَهُ

فكلاهما للمُتَّقِي مضمونٌ



آه يا إيمان

جده - الكندره ١٥/٢/١٤٢٢هـ

مع التحية إلى براءة الطفلة «إيمان حجو»، وعزاءً صادقاً لأهلها
ولكل طفل فلسطيني.

أيُّ ذنبٍ خائنٍ أيُّ قَطِيعٍ

أيُّ غَدْرٍ في روابيها يَشِيعُ؟

أيُّ جرحٍ في جِماها نازفٍ

أيُّ مأساةٍ لها وجهٌ مُريعُ؟

أيُّ عصْرِ، لم يزلَ قانونُهُ

يمنحُ العاريَ ثوباً من صَقِيعٍ؟

يمنحُ الجائعَ رَكْلاً في القَفَا

صائحاً في وجهه، كيف تجوعُ؟!

يمنعُ العطشانَ من منبَعِه

وإذا حاولَ، أسقاه النَجِيعَ

أيُّها السائلُ عما أشتكي

من لظى الحزن الذي بين الضُلُوعِ

لا تسل عن جذوة أشعلها
 ظالم يقتل أزهار الربيع
 لا تسلني، واسأل الغرب الذي
 يأمر الليل بإطفاء الشموع
 ينقض العدل بحق النقض في
 مجلس يعجز عما يستطيع
 اسأل الغرب الذي واجهنا
 منه قلب بالباطيل ولوع
 قل له: مهلاً فقد بان لنا
 فشل في نصرة الحق ذريع
 أنت للباغي يد ممدودة
 ليت شعري، أين أخلاق «يسوع»؟
 أيها السائل عذراً، فأنا
 أبصر الأطفال من غير دروع
 واجهوا الحرب كما واجهها
 ابن عفرأ، وسعد بن الربيع
 وأرى دبابة غاشمة
 حولها ألف جريح وصرع

وأرى سِرْبَ قَرودٍ خَلَفَها
ووراء السُّرْبِ، خنزيرٌ وَضِيعٌ
لا تَسَلْنِي عن حَقْوِقٍ لَمْ تَزَلْ
بين تَجَّارِ الأباطيلِ تَضِيعٌ
لا تَسَلْنِي عن يدٍ راجِفةٍ
لَمْ تَزَلْ تُشْرِي أساها وتبيِعُ
لا تَسَلْ عن واحةٍ الصَّمْتِ التي
ضاقت التُّربةُ فيها بالجدوعِ
يا لَهَا مِنْ لَيْلَةٍ حَالِكَةٍ
نَسِيتْ أنْجُمُها معنى الطُّلوعِ
رسم القَصْفِ لَهَا خارِطةُ
بَعْدَ أنْ مَرَّ مِنَ اللَّيْلِ هَزِيعُ
كَانَتْ الأَسْرَةُ في منزلِها
تَرَقُّبُ الفَجْرِ، وفي الأحشاءِ جُوعُ
طفلةٌ مُنْذُ شَهْوٍ وُلِدَتْ
بين جدرانٍ مَشَتْ فيها الصُّدُوعُ
أُمُّها تَنْتَظِرُ الزَّوْجَ على
شاطئِ الذِّكْرِ بِأَحلامِ الرُّجُوعِ

تُرَضِّعُ الطُّفْلَةَ مِنْ ثَدْيِ الْأَسَى
 فِي مَسَاءٍ فَاقْدِرْ مَعْنَى الْهَجْوِ
 أَغْلَقْتَ بَاباً عَلَى مَزَلَاكِهِ
 بَصْمَةً دَلَّتْ عَلَى الْجُرْمِ الْفُظِيْعِ
 مَنْ تُنَادِي، وَإِذَا نَادَتْ، فَمَنْ
 يَكْشِفُ الْغَفْلَةَ عَنْ هَذِي الْجَمُوعِ؟
 يَا لَهَا مِنْ لَيْلَةٍ مَاجَتْ بِهَا
 وَبِمَا فِيهَا مِنَ الْقَصْفِ الرَّبُوعِ
 غَارَةٌ جَوِّيَّةٌ أَشْعَلَهَا
 ظَالِمٌ مُسْتَوْغِرُ الصَّدْرِ هُلُوعِ
 صَارَتِ الدَّارُ بِهَا دَارَ أَسَى
 وَاشْتَكَى مِنْ جَدْبِهِ الرُّوضُ الْمَرِيْعِ
 فَشَرَابُ الطُّفْلِ مَاءٌ آسِنٌ
 وَطَعَامُ الْأُمِّ فِيهَا مِنْ ضَرِيْعِ
 أَيْنَ مِنْهَا مَجْلِسُ الْخَوْفِ الَّذِي
 لَمْ يَرُدِّدْ - بَعْدُ - أَفْعَالَ الشُّرُوعِ؟
 غَارَةٌ جَوِّيَّةٌ وَانْكَشَفَتْ
 عَنْ ضَحَايَا شَرَبُوا السُّمَّ النَّقِيْعِ

غارة، وانكشفت عن وردة
كان من أشلائها المسك يَضُوعُ
آه يا إيمان من أممتنا
لم تزل تجتنب الدرب الواسع
صلت الفرض صلاة جمعت
كل ما في نفسها، إلا الخشوع
أصبحت تسأل عن موقعها
بعد أن حطم رجليها الوقوع
حسم الأمر وما زالت على
وهمها بين نزول وطلوع
كيف ترجو الخير ممن يقتفي
أثر المظلوم، بالظلم الشنيع
ويرينا كل يوم صـورة
حية فيها إلى البغي نزوع
يمنح الأم التي أكلها
قسوة تسلب عينيها الدموع
إنه القدر اليهودي الذي
لم يزل يضرنا الضرب الوجيع

آمِ يَا إِيْمَانُ، يَا رَاحِلَةً
 قَبْلَ أَنْ تُكْمَلَ سُقْيَاهَا الضُّرُوعُ
 أَنْتِ كَالشَّمْسِ الَّتِي غَيَّبَهَا
 لِيُهَا قَبْلَ بَدَايَاتِ السُّطُوعِ
 أَنْتِ كَالنَّجْمَةِ لَمَّا أَفَلَتْ
 قَبْلَ أَنْ يَسْتَكْمَلَ الضُّوْءُ اللُّمُوعُ
 أَطْلِقُوا نَحْوَكِ صَارُوخاً فَيَا
 خَجَلَةَ الْقَصْفِ مِنَ الطِّفْلِ الْوَدِيعِ
 لَا تَظْنِي أُمِّي خَاضِعَةً
 هِيَ يَا إِيْمَانُ، فِي صُلْبِ الْخَضُوعِ
 دَمَكِ الْغَالِي بَيَانٌ صَارِخٌ
 فَارْفَعِي الصَّوْتَ ، وَقُولِي لِلْجَمِيعِ:
 يَا ضَيَاعَ الْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي
 تَرْتَضِي أَنْ يُقْتَلَ الطِّفْلُ الرُّضِيعُ



أسدُ الشيشان

الرياض ٢٠/٢/١٤٢٣هـ

لم تلتقِ الأجساد، ولكنَّ أخبار بطولاته «المشرقة» لم تتقطع، وكان
سلامه يصلني - قبل سنوات - عن طريق بعض المتصلين بي هاتفياً...
ممن لا أعرفهم بأشخاصهم، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى يعرفهم،
المجاهد «خطَّاب» أسدُ مسلمٍ عربيٍ حالت «حفنة» السمِّ القاتل بينه
وبين جبال الشيشان.... يرحمه الله.

عرفتُك، ما عرفتُك من قريبٍ

ولكنَّ التسعَّارُفَ بالقلوبِ

وكم يحظى الفتى بالحبِّ منَّا

على بُعْدٍ، ويُوصَفُ بالحبيبِ

أيا خطَّابَ أمَّتنا التقينا

على حُلْمِ المجاهدِ، والأديبِ

تلاقينا بأرواحٍ، هداها

إلى الإسلامِ علَّامُ الغُيوبِ

إذا رُفِعَ الأذانُ لها تسامتْ

بإحساسِ المنادي والمجيبِ

تلاقينا بأفئدة عطاشٍ
 إلى حُورٍ وجنّاتٍ وطيبٍ
 لها نَبْضٌ يكاد يذوب وجَداً
 بما للشوق فيها من لَهيبٍ
 قلوبٌ يا أخا العَزَماتِ يَبْقَى
 لها من صِدْقِهَا أَوْفَى نَصيبٍ
 نعم، والله لن تلقى مُحَبّاً
 لغير الله يثبّت في الدروبِ
 قريبٌ من مشاعرنا قريبٌ
 فيا فرحَ المشاعرِ بالقريبِ
 لئن بَعُدَتْ بك الأحداثُ عنا
 ولم تُمَهِّلْكَ أهوالُ الخطوبِ
 فإنك لم تزل بالذكر حياً
 وبالعَزَماتِ والرأي المصيبِ
 تلاقينا على واحاتِ حُبٍّ
 سقاها هاتِنُ الغيمِ السُّكُوبِ
 وفَرَقٌ بين ماءِ الغيثِ، يَهْمِي
 وبين الماءِ يُنَزِّحُ مِنْ قَلْبِ

وَفَرَّقَ بَيْنَ قَافِيَةٍ تَغَنَّتْ
 بِأَمْجَادِي، وَقَافِيَةٍ لَعُوبِ
 إِلَى خَطَّابِ أُمَّتِنَا التُّحَايَا
 مِنْ الْقِيَمِ الشَّوَاهِقِ وَالسُّهُوبِ
 مِنَ الْهِمَمِ الَّتِي عَرَفَتْهُ طِفْلاً
 وَمِنْ رَوْضِ الْمَرْوَاتِ الْخَصِيبِ
 وَمِنْ ذُرَّاتِ كُتُبِ الْبَحَارِ
 إِذَا زَحَفَتْ بِهَا كَفُّ الْهُبُوبِ
 مِنَ النَّخْلِ الْبَوَاسِقِ، مِنْ عُذُوقِ
 وَمِنْ سَعَفِ يُلُوحِ وَمِنْ عَسِيبِ
 جِبَالِ «الْهِنْدُكُوشِ» رَأَتْكَ لَيْثاً
 يُعْلَمُ صَعْبَ بَهَا لُفَّةُ الْوُثُوبِ
 وَدَاغُ سِتَانٍ مَدَّتْ رَاحَتِيهَا
 بِفَيْضٍ مِنْ مَشَاعِرِهَا عَجِيبِ
 وَفِي الشَّيْشَانِ نَادَيْتَ الْمَعَالِي
 بِصَوْتٍ لَيْسَ عَنْهَا بِالْغَرِيبِ
 سَقَيْتَ رِيوَعَهَا بِدَمْعٍ صَبَّ
 بِكِي مِنْ حَالِ عَالَمِنَا الْمُرِيبِ

تداعى الآكلون، فليت شعري
أنردعهم بتمزيق الجيوب؟
وهل نلقى التأمراً بالتفاضي
ونخلص بالعيوب من العيوب؟
وما نسعى إلى حرب، ولكن
إذا فرضت صبرنا في الحروب
والحُمنا الأوائل بالتوالي
وأبرق حد صارمنا الخضيب
ولو أن العدو يريد سلماً
لقابلناه في روض قشيب
والبسناه ثوباً من أمان
وظللناه بالفصن الرطيب
ولكن العدو يريد حرباً
مُسَمَّمة المخالب والنيوب
إذا نطق الرصاص فلا تسلني
عن الخطب البليغة والخطيب
رعاك الله، لم تجنح لخوف
يذوب همّة الرجل الأريب

بإحدى مقلتيك رأيت قلباً
 جريح النّـبـضِ مخنوق الوجيبِ
 وبالأخرى رأيت من الأعادي
 مؤامرة على الوطن السليبِ
 رأيت المسلمات مشرداتٍ
 كقطعانٍ من الإبل «العزيب»
 يصورهنّ إعلامُ المآسي
 ليعرضهنّ في خـبـرٍ غريبِ
 وماذا يعرض الإعلامُ، إلّا
 وجوهاً تشـتـكـي أـلم النـدوبِ
 رأيت الجرح أكبر من طبيبِ
 ومن تشخيصٍ أجهزة الطبيبِ
 فأطلقت العزيمة من عقالِ
 يقيّدُها عن السقي الدؤوبِ
 دعائك إلى الجهاد بكاءً طفلي
 وما أبصرته من غدر «ذيب»
 رأيتك، والرياح تهبُّ غرباً
 تميلُ إلى الشروق عن الغروبِ

وتبصر في طريق المجد شمساً
مُبرّاة الضياء من المغيب
رأت عيناك فجراً مستضيئاً
يُزيل غياهب الليل الكئيب
فأركضت الخيول إليه حتى
أضأت بشاشة الوجه الغضوب
إذا حمي «الوطيس» فسوف يبدو
لنا الرجل الصدوق من الكذوب
تقول لك الجبال الشُّم: أقبل
بعزم الفارس الحذر اللبيب
وما خَشِيتُ عليك من الأعداء
ولكن من خيانة مُستريب
ومن غدر المنافق حين يلوي
عمامة خائن يوم «الضريب»
لو أن السم يعرف ما عرفنا
لقال لخطّة الأعداء: خيبي
أخا العزّمات، إنّا قد صبرنا
ولم نجنح إلى لفّة الهروب

بَكَتْكَ يَتِيمَةً وَبَكَتْ سَبَايَا
يَرَيْنَ الْحَرْبَ دَائِمَةً النَّشُوبِ
يَرَيْنَ الْفَجَرَ أَسْوَدَ بِالْمَآسِي
وَتُؤْذِيهِنَّ أَصْوَاتُ النَّعِيبِ
أَعَزِيهِنَّ فِيكَ ذَرْفَنَ دَمْعاً
سَقَيْنَ بَوْبِلَهُ شَجَرَ النَّحِيبِ
أَعَزِّي فِيكَ أُمّاً شَرَفَتْهَا
مَوَاقِفُ لَيْثِهَا الْبَطْلِ الْمَهِيْبِ
وَمَا فَقَدْتِكَ فِي لَعِبٍ وَلَهْوٍ
وَلَا فَقَدْتِكَ فِي أَمْرٍ مُرِيبِ
تَقُولُ لَهَا بَطُولُكَ: اطمئني
وَقَرِّي بِالْفَتَى عَيْنَا وَطَيْبِي
لَقَدْ أَرْضَعْتَهُ عَزْماً وَحَزْماً
وَوَجَدَانِ الْأَبِيِّ مَعَ الْحَلِيبِ
رَأَتْكَ بِقَلْبِهَا بَطْلاً شَجَاعاً
قَوِيَّ الْعِزْمِ مَيِّمُونَ الْوُثُوبِ
فَأَشْرَقَ وَجْهَهَا فَرِحاً وَتَاقَتْ
إِلَى لُقْيَاكَ فِي الْكَنْفِ الرَّحِيبِ

أَعَزِّي فَيْكَ أُمِّكَ وَهِيَ أَدْرِي

بِمَعْنَى الصَّبْرِ فِي الْوَقْتِ الْعَصِيبِ

كَأَنِّي بِالْوَسَائِدِ وَالزَّرَابِي

عَلَى سُرُرٍ تُضَمُّ بِالطُّيُوبِ

وَحُورُ الْعَيْنِ، قَدْ هَيَّأَنَّ فِيهَا

مَقَاماً لِلْحَبِيبَةِ وَالْحَبِيبِ

أَرَى غُرْفاً مِنَ الْيَاقُوتِ، فِيهَا

بَدَأَ سِرُّ الْعَجِيبَةِ وَالْعَجِيبِ

فَمَا سَمِعْتَ بِهَا أُذُنًا شَفُوفٍ

وَلَا بَصُرَتْ بِهَا عَيْنَا رَقِيبِ

أَخَا الْعَزَمَاتِ فِي الشَّيْشَانِ، يَا مَنْ

رَكِبْتَ إِلَى الْعُلَا أَسْمَى رُكُوبِ

رَحَلْتَ عَنِ الْحَيَاةِ، فَمَا جَزَعْنَا

بِرَغْمِ الْحَزَنِ، وَالذَّمْعِ الصَّبِيبِ

رَضِينَا بِالْقَضَاءِ رِضًا يَقِينِ

وَتَسْلِيمِ لِفَقَارِ الذُّنُوبِ

صَبْرًا أَبَا فَهْدٍ

الباحة - عراء ١٤/٢/١٤٢٥هـ

«مع العزاء الصادق لسمو الأمير سلمان، والدعاء بالرحمة والمغفرة
لابنه الفقيد «فهد».

تمضي الحياةُ ويرحل الإنسانُ

ورجاؤنا أنْ يُثمر الغفرانُ

تمضي الحياةُ بحلوها وبمرّها

كسفينةٍ يمضي بها الطوفانُ

كسحابةٍ صيفيّةٍ مرّت بنا

عَجَلَى، ولم تفرّح بها الأغصانُ

كطيوفِ أحلامٍ تلاشت قبل أنْ

تسطيعَ رَسَمَ خطوطها الأذهانُ

كدوائرِ الماءِ التي انداحت على

عَجَلٍ، فما لثباتها إمكانُ

كالبسةِ الصّفراءِ في الثّغر الذي

مِنْ خَلْفٍ بِسْمَتِهِ أَسَى وَدُخَانُ

كشذا الزهور، يُشَمُّ وهو مسافرٌ
 عنّا، وليس لما يُشَمُّ مكانٌ
 كخيالِ زائرةِ المنام، إذا صَحَا
 طرفٌ، تلاشى حسنه الفتانُ
 تمضي الحياة، وإنما هي مركبٌ
 في موجِ بحرٍ، طبعه الهيجانُ
 هو مركبٌ، للريح عنه حكايةٌ
 تُروى، وخير رواتها الحدّثانُ
 تمضي الحياة، فأين مَنْ بذلوا لها
 شَفَفَ القلوبِ النابضاتِ ولانوا؟
 رحلوا؟ نعم، وكأنهم ما قَلَّبُوا
 نظراً، ولا أَصَفَتْ لهم آذانُ
 إني لأعلم كيف تُوقَدُ جَمْرَةٌ
 في القلب، كيف تُذِيبُه الأشجانُ
 إني لأعرف كيف يَعْتَصِرُ الأسى
 قلبَ المحبِّ، وتُشْعَلُ النيرانُ
 وأحسُّ بالأعماقِ حين يُذِيبُها
 أَلَمٌ، ويكشف سرّها الخَفَقانُ

قلبي يُحسُّ بقلبٍ كلُّ موَلِّهِ
 تُطوى على حسراته الأزمانُ
 فَقَدْ الأُحِبَّةُ عاصِفًا من حَسْرَةٍ
 بهبوبة تتزلزل الأركانُ
 لا يعصم الإنسان من هَبَّاتِهِ
 إلا يقينُ القلبِ والإيمانُ
 فالموتُ سَمَاءُ الإله مصيبةُ
 مشهودةٌ، يُتلى بها القرآنُ
 يُدمي القلوبَ ويستثير أنينَها
 وبه يحرك ناره البركانُ
 لولا اليقينُ، لما أفاد قلوبنا
 صَبْرٌ على البَلَوَى ولا سُلْوانُ
 يا فاقداً الأحباب صبراً، إنها
 دنيا فتاءٍ، طَبَعُها النُّقْصَانُ
 لو دامت الدنيا، لما ذاق الردى
 حيٌّ، ولا لمس الثرى إنسانُ
 ما الموتُ إلا مُورَدٌ لا ينثنى
 عن حوضه شيبٌ ولا شُبَّانُ

هي ساعةٌ كُتِبَتْ فإنَّ حانتَ فما
يَحْمِي الفَتَى أَهْلٌ وَلَا إِخْوَانُ
ما الجاهُ، ما الأموالُ، ما الطبُّ الذي
يَشْفِي، وماذا يصنعُ الأعوانُ؟
ستصير هذي الأرضُ قاعاً صَفْصَفاً
تَفْنَى، ويبقى الواحدُ الديانُ
سيموت مَنْ في الأرض، لن يبقى بها
إنْسٌ وَلَا جانٌّ وَلَا حيوانُ
سيموت - حتى الموت -، هذي سنَّةٌ
في الدين منها شاهدٌ وبيانُ
صبراً أبا فهدٍ ففي الصِّبر الرِّضا
والصَّبْرُ في قَيْظِ الأسي بُستانُ
عزّاك من شعري وفاءٌ حروفه
وموَدَّةٌ بُنِيَتْ بها الأوزانُ
عزّتكَ قافيةٌ، على شُرُفاتها
صَدَحَ الوفاءُ، وغرَّدَ العِرفانُ
عزّتكَ قافيةٌ لها مِنْ مُهجتي
نَبْعٌ، وَمِنْ حُسْنِ العِزاءِ لسانُ

هذي حروفُ الشعرِ صارتَ كُلُّها
تدعو، تقول: الصَّبْرُ يا سَلَمَانُ
في مَوْتِ خَيْرِ الأنبياءِ عِزَاؤُنَا
فلکم تَخَفُ بِذِکْرِهِ الْأَحْزَانُ
صَبْرًا أَبَا فَهْدٍ فَصَبْرُكَ دَوْحَةٌ
بِظِلَالِهَا يَتَفَيَّأُ الْوَجْدَانُ
وَالصَّبْرُ جَسْرٌ فِي مُحِيطٍ جَرَّاحِنَا
وَنَهَايَةُ الْجَسْرِ الطَّوِيلِ جِنَانُ
وَالصَّبْرُ بَابُ الْأَجْرِ، يَكْفِي أَهْلَهُ
أَنَّ الَّذِي يَجْزِيهِمُ الرَّحْمَنُ
صَبْرًا أَبَا فَهْدٍ، فَدُنْيَانَا عَلَى
جَسْرِ الرَّحِيلِ، صُرُوفُهَا أَلْوَانُ
لَوْلَا الْفَنَاءُ لَضَاقَتِ الدُّنْيَا بِمَنْ
فِيهَا، وَلَمْ تَسْتَوْعِبِ الْأَكْوَانُ
لِلَّهِ تَصْرِيفُ الْأُمُورِ، وَعِنْدَهُ
حُكْمُ الْقَضَاءِ، وَعِنْدَنَا الْإِذْعَانُ
نَدْعُو فَتَشْعُرُ بِالصَّفَاءِ قُلُوبُنَا
وَيُشَيِّعُ فِي نَبْضَاتِهَا اطمئنَّانُ

مفتاحُ أبوابِ النَّجاةِ جميعها

قلبٌ بأنوارِ الهُدى يزدانُ

يا فاقداً الأحبابِ أبشراً، إنما

يُرجى لهم من ربنا الغفرانُ

فاللهُ أرحمُ بالفتى من نفسه

وبعضه يتعلق الإنسانُ



هاتف الأستاذ

الرياض ١٢/١٢/١٤٢٠هـ

«بعد أن سألتني أحدهم - في اتصال هاتفي يوم عيد الأضحى -
عن هاتف الأستاذ: أحمد فرح عقيلان - يرحمه الله - ليتصل به،
ففاجأني سؤاله وأثار شجوني، كما فاجأه جوابي وأثار شجونه»

يا صباح الخير يا أستاذ أحمد

يا صباح الحب والشعر المنضد

يا صباح الذكريات الخضرة، إني

لم أزل في ظلها أرضى وأسعد

يا صباح الفل والكادي وورد

كلما لامسه الطل تورّد

يا صباح الببل الصدّاح لما

غنت الشمس له بالنور غرّد

يا صباح الخير، لو كان قريباً

من سري في زحمة الليل وأبعد

يا صباح الخير، لو كان مجيباً

لندائي، ذلك الشهم المجد

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ هَاتِفِ شَيْخٍ
دَرَّبَ الشُّعْرَ عَلَى الْفَصْحَى وَعَوَّدَ
هَاتِفُ الْأَسْتَاذِ لِلْآدَابِ حَقْلُ
وَلَمَنْ يَطْرُقُ بَابَ الْعِلْمِ مَقْهَدُ
لَمْ يَكُنْ هَاتِفُ أَسْتَاذِي جَمَادَا
كَانَ دَرَسَا - حِينَمَا يُطَلَّبُ - يُعَقَّدُ
كَمْ حَزِينٍ هَاتِفَ الْأَسْتَاذِ يَوْمَا
فَانْجَلَى الْحَزَنُ، وَبِالصَّبْرِ تَزَوَّدُ
كَانَ بِالرَّقَّةِ وَاللُّطْفِ يُجَلَّى
هَمٌّ مَنْ يَشْكُو فَيَرْتَاحُ وَيَسْقَدُ
أَيُّهَا السَّائِلُ، مَا الْأَسْتَاذُ إِلَّا
خَافِقٌ حَيٌّ إِذَا حَدَّثَ جَوْدُ
كُلَّمَا هَاتِفْتُهُ أَشْعَرَانِي
أَمْلَكَ الدُّنْيَا إِذَا مَا قَالَ: «أَحْمَدُ»
كَانَ لِي نِعَمَ الْأَبِّ الْغَالِي وَكُنَّا
مِنْ رِيَاضِ الشُّعْرِ فِي صَرْحٍ مَمْدَدُ
كَمْ بَكَى - مِثْلِي - عَلَى الْأَقْصَى وَعَانِي
وَعَلَى إِشْرَاقَةِ الْمَاضِي تَنْهَدُ

كم سقينَا الشُّعْرَ حُبًّا ووفاءً
 وفتحنَا بالقوافي كلَّ مُوصِدٍ
 لم نُغَرِّبْ أو نُشَرِّقْ دونَ وعيٍ
 شَأْنُ مَنْ طَاوَعَ وَهَمًا وَتَمَرَّدَ
 بل رفعنا هامةَ الفصحى التزاماً
 فكللنا طَوْرَ الفنِّ وجـدَدَ
 مِنْ رِيَاضِ اللُّغَةِ الفصحى قطفنا
 ثمراً أحلى من الشَّهْدِ وأجودَ
 ودعونا بعضَ مَنْ تَاهَتْ خُطَاهُمُ
 واستجادوا بالهوى الفكرَ المَجْمَدَ
 كم بنينا من حروف الشعر سداً
 مُحْكماً في وجهِ مَنْ ضلَّ وألحدَ
 وزرعنا اللغةَ الفصحى حقولاً
 في رَبَاهَا يُولَدُ الشُّعْرُ وَيُنْشَدُ
 لغةَ القرآن، نَبَّعَ من بيانٍ
 كلُّ ما فيها على الإبداع يشهدُ
 ليستِ البحرُ، ففي البحر أجاجَ
 وغُثَاءٌ كُلُّمَا أرغى وأزبدَ

ليست الأفق فإن الأفق يشكو
 من غبارٍ ودُخانٍ يتصعدُ
 وتظلُّ اللغةُ الفصحى مَعيَناً
 بصفاءٍ ونقاءٍ تتفردُ
 أيُّها السائل عن هاتفٍ شيخٍ
 حبيبُ الفصحى إلى الجيلِ وأرشدُ
 حينما هاتفَني أرسلتَ سهماً
 من لهيبٍ أيقظ الجرحَ وأوقدُ
 لم أكن أعلم أن الحزنَ حيٌّ
 كلما طافت به الذكرى تجددُ
 يا تُرى، هل وعدَ الصبرُ فؤادي
 حينما ودَّعَ شيخِي، أم توعدُّ؟
 هاتفُ الأستاذِ أرقامٌ تعاني
 أصبحتَ لفظاً بلا معنى يُردُّ
 آه من أرقامه صارت سهاماً
 نحو قلبي بيدِ الحزنِ تُسدِّدُ
 أصبحتَ أصواتها رجَّعَ أنينٍ
 وصديٌّ من حشراتٍ تتوقدُ

لو سألنا هاتفَ الأستاذِ أدلى
 بجوابٍ يشرح الصدرَ ويحمدُ
 وروى عن حمكةِ الأستاذِ شيئاً
 قلَّ أنْ يحدثَ في الناسِ ويوجدُ
 أيُّها السائلُ قد أشعلتَ جرحاً
 لملمَ الصَّبْرُ بقاياهُ وضمَّدَ
 آهِ لو تعلم عن وقعِ سؤالٍ
 أنتَ أطلّقتَ به الجرحَ المقيَّدَ
 أولم تعلمَ بأننا قد رزّنا
 قبلَ عامين، وأنَّ الحزنَ عَرَبَدَ
 نحن لم نجزعْ، ولكنَّا حزنَّا
 وسلكنَا بالرُّضا الدَّربَ المهدَّ
 وعلمنا أنَّما الدنيا رحيلٌ
 دائمٌ، ليس عليها مَنْ يُخلدُ
 إنَّ في صورةٍ لحدٍ بعد مَهْدٍ
 صورةٌ تبدو لإنسانٍ مُمدَّدَ

يبدأ الدنيا بضعفٍ ثم يقوى

ثم يرتدُّ إلى الضعف المؤكَّد

ثم يغدو أثراً منَّ بَعْدَ عَيْنٍ

وحكاياتٍ مع الأجيال تُسرَّد



وداع العلم

الرياض ٢٨/١/١٤٢٠هـ

ما له يبكي بدمعي قلبي

أهو مثلي يشتكى من ألمي؟

أهو مثلي قد غدا مضطرباً

حينما سدت يد الحزن فمي؟

أهو مثلي أغمض العين على

خبر هز بلاد الحرم؟

مات شيخ العلم يا قائلها

أنت أشعلت لهيباً في دمي

مات شيخ العلم، لو أدركت ما

صنعت في قلبي المنثم

ليستني أسطيع أن أنكرها

ليتها كانت بقايا حلم

من أعزّي في الأب الغالي الذي

واجه الدنيا بأعلى الهمم؟

أَعَزِّي مِنْهُجَ اللّهِ الَّذِي

كَانَ يُسْتَهْدَى بِهِ فِي الظُّلُمِ؟

أَعَزِّي سَنَةَ طَاهِرَةٍ

كَانَ يَرعى هَدْيَهَا فِي شَمَمِ؟

أَعَزِّي فِيهِ عِلْمًا نَافِعًا

وَفَتَاوَى تُوجَّتْ بِالْحِكَمِ؟

أَمْ أَعَزِّي فِيهِ أَيْتَامًا بِهِ

وَجَدُوا عَطْفَ أَبٍ ذِي رَحِمِ؟

أَمْ أَعَزِّي فِيهِ مَسْكِينًا رَأَى

مِنْهُ مَا أَبْرَاهُ مِنْ سَقَمِ؟

مَنْ أَعَزِّي فِي الْأَبِ الْغَالِي الَّذِي

وَدَّعَ الدُّنْيَا وَدَاعَ الْعَلَمِ؟؟

سَأَعَزِّي فِيهِ مَنْ يُزْهَرُ فِي

دَمِهِ إِحْسَاسُ قَلْبِ الْمُسْلِمِ



كَيْفَ لَمْ نَحْزَنْ؟

الرياض ١٤٢٠/٢/١٠ هـ

عَظِيمٌ فِي مَقَامِكَ وَالرَّحِيلِ
لأنَّ لَدَيْكَ مِيرَاثَ الرُّسُولِ
وَمَنْ وَرِثَ الْهُدَى وَرِثَ الْمَعَالِي
وَأَوْرَثَهُنَّ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ
أَبِي وَأَبَا الْجَمِيعِ، مَضَيْتُ عَنَّا
كَمَا تَمْضِي الشَّمْسُ إِلَى الْأَفْوَلِ
وَقَدْ فَضَّلْتَ عَنْهَا، فَهِيَ تَفْنَى
وَتَبْقَى أَنْتَ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ
مَدَدْتَ جَسُورَ وَدَّكَ لِلْيَتَامَى
وَالْمَسْكِينِ وَالشَّاكِي الْعَلِيلِ
وَوَجَّهْتَ الْغَنَى إِلَى عَطَاءٍ
وَلَمْ تَبْخُلْ بِنُصْحِكَ لِلْبَخِيلِ
كَأَنَّكَ هَامَةٌ الْجَبَلِ ارْتِفَاعاً
وَمَا قُبِضَتْ يَدَاهُ عَنِ السُّهُولِ

لِنَبْرَةِ صَوْتِكَ الْبَازِي سِرٌّ
يؤثّر في القلوب وفي العقول
تُنَادِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى اتِّتِلَافٍ
وَتَدْعُوهُمْ إِلَى «حِلْفِ الْفُضُولِ»
تُبَشِّرُهُمْ وَتُنْذِرُهُمْ وَتَلْوِي
أَعْنَتَهُمْ عَنِ الْفِكْرِ الدَّخِيلِ
وَتُرْشِدُهُمْ إِلَى كَنْزٍ عَظِيمٍ
مِنْ الْإِسْلَامِ وَالْمَجْدِ الْأَثِيلِ
وَكَمْ ذِي بِدْعَةٍ أَغْضَيْتَ عَنْهُ
كَمَا يُفْضِي الْعَزِيزُ عَنِ الدَّلِيلِ
وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيْهِ بِقَوْلٍ حَقٍّ
وَتَوَجَّيْهِ إِلَى أَهْدَى سَبِيلِ
وَفَرَّقَ بَيْنَ زُقُومٍ وَشَوْكٍ
وَبَيْنَ ثَمَارِ أَشْجَارِ النَّخِيلِ
وَبَيْنَ الْفَارِسِ الْمَقْدَامِ يَمْضِي
بِهَمَّتِهِ، وَسَبَّاقِ الْفُلُولِ
وَكَمْ مَسْتَثْمَرٍ مَالاً وَجَاهاً
يَتَوَقَّعُ إِلَيْكَ بِالطَّرْفِ الْكَلِيلِ

رآك وقد حلّلتَ مقامَ عزٍّ
 ينافحُ عنه بالسيفِ الصَّقيلِ
 ولم تبذلْ له إلا ثباتاً
 على التقوى ومنهاج الرسولِ
 لأنك كنت تخشى الله حقاً
 وترضى في حياتك بالقليلِ
 كتابُ الله نورُك في الدِّياجي
 وزادُك في المبسِيتِ وفي المَقِيلِ
 عقيدتك التي جعلتك رمزاً
 يذكّرنا بتاريخ الرُّعيلِ
 أرى أمي تُخاطبني بدمعٍ
 وفي نظرتها أثرُ الذُّهولِ
 أماتَ الشيخُ؟ قلتُ: نعم، ولكنْ
 مماتَ الصَّاعدينَ بلا نزولِ
 مماتَ الزَّاهدينَ بلا انعزالِ
 عن الدنيا، ولا عزمِ كليلِ
 وتسألني ابنتي عمّا تراءى
 لها، مِنْ ليلِ حسرتنا الطَّويلِ

فقلتُ لها: ابنُ بازٍ غابَ عنا
 غيَابَ المُرْنِ عن روضِ مُحيلِ
 حزنًا، كيف لم نحزن؟ ولكنْ
 أضأنا الحزنَ بالصبرِ الجميلِ
 ورقَّينا المشاعرَ باحتسابِ
 يُقْرِبُهَا مِنَ المولى الجليلِ
 ولولا ما حملنا من يقينِ
 لكانَ الصبرُ بابَ المستحيلِ
 قصائدُنا تكاد تذيبُ وجداً
 وتهربُ من تفاعيلِ الخليلِ
 تكاد غمامةُ الأحزانِ تمحو
 ملامحَ وجهها الحرِّ الأصلِ
 نظمناها فما استطاعتْ ثباتاً
 أمام هجومِ حسرتنا المَهولِ
 وكدتُ أفرُّ من حُدْبِي عليها
 وأبحثُ في رثائك عن بديلِ
 ولكنَّ القصائدَ أسمعفتني
 على وُجَلٍ وجادتُ بالقليلِ

وكم من شاعرٍ كُبرت عليه
 مَواجعُه فهابَ من الدُّخولِ
 أبي وأبا الجميع لنا خيولُ
 من الذُّكرى مُميّزة الصَّهيلِ
 نقلنا عنك أخباراً حسّاناً
 وبعضُ الحُسنِ يظهُرُ في النُّقولِ
 رأيْتُكَ في سماءِ المجدِ فجراً
 يُسَلِّسُ نورَه بين الحقِّ قولِ
 وفاتك أيقظت في الناسِ حسّاً
 بأنَّ المجدَ في الخلقِ النَّبيلِ
 وأنَّ المجدَ في علمٍ صحيحٍ
 يقوم على التَّثبتِ والدُّليلِ
 وأنَّ المجدَ في فكرٍ مُضيءٍ
 يُتَوَجَّ بالرجوعِ إلى الأصولِ
 وأنَّ المجدَ في رفقٍ ولينٍ
 بلا ضعفٍ يقدُّ إلى النُّكولِ

حَسِبْتُكَ مَخْلَصاً وَدَلِيلُ قَوْلِي

على الإخلاصِ فَوَزُّكَ بِالْقَبُولِ

وَصَلْتُ — نَعَمْ بِإِذْنِ اللَّهِ — لَكِنْ

بَقِينَا نَحْنُ نَطْمَعُ فِي الْوَصُولِ



قطرة مسكٍ من دم شهيد

«أبو الزبير المدني وأبو العباس إضاءتان جديدتان في ظلام هذا العصر... مجاهدان من المدينة المنورة استشهدا في «سرايفو» أسأل الله أن يقبلهما في الشهداء.... القصيدة خطاب لأبي الزبير.... وهي خطاب أيضاً لأبي العباس..... فكلّنا هذا وذاك....»

قل ما تشاء عن الفؤاد المتعبِ

فالشّمس عن أحلامنا لم تغربِ

ها أنت تحملني بأجنحة الهدى

عبّر الفضاءِ إلى السماء تطير بي

ها أنت تحملني وتنعش فرحتي

بعد الذبول وبعد دهرٍ مجدبِ

عفواً - أخي في الله - عين قصيدتي

ترنو إليك، وحرفُها لم يُكْتَبِ

أنا ما رأيته في خيال قصيدتي

لكنني أبصرت وجه الكوكبِ

أنا ما سمعتك منشداً لكنني
أصغيتُ للأمل الجميل المطربِ
فرحي كبير يا أخي بجهادكم
لكنَّ حُزني لم يزل كالغَيْهَبِ
إني غضبت لأمتي لما رمتْ
بزمَامها للظالم المتصلِّبِ
وغضبت للإسلام من أعدائه
مِمَّنْ يُشَاغلنا بمنطق ثعلبِ
وغضبتُ للإسلام من أبنائه
مِمَّنْ يعيش بطبعه المتقلِّبِ
طوراً يميل إلى اليمين وتارةً
نحو اليسار كتائه في سبِّ سبِّ
أرأيت ذا عقل يتوق فؤاده
- وهو السليم - إلى عناق الأجرِبِ؟
وغضبتُ للأقصى يُباع ويُشترى
لا خير في قلبي إذا لم يغضبِ
وغضبتُ للبلقان يهتك عرضها
أمتٌ ستُبلا أم تحنُّ ولا أبِ

وغضبتُ من مكر العدو وكيده
 من وجه أوروبا القبيح المرعب
 يا وجه أوروبا رأيتُك كالحأ
 وكذاك يبدو وجه كل مغرب
 أنا ما رأيت - وكم رأيت رجالكم -
 إلا رُوى ناب وصورة مغلب
 كم ناطق باسم السياسة قد بدا
 متأنقاً يخفي طبيعة عقرب
 أبا الزبير، عدونا متكالب
 يُرضي سذاجتنا بوعد مغلب
 أبا الزبير، فديتها من كنية
 نقلت إلي رُوى الزمان المخصب
 ها أنت تحملني إليك وأمتي
 مشفولة بتناحر وتذبذب
 لو أن أمتنا أقامت دينها
 وتعلقت بكتابها، لم تغلب
 لكنها ركبت طواحين الهوى
 فأنزلت للأرض بعد توثب

يا ويحها من أمة منكوبة
 لولا الجنوح عن الهدى لم تُنكب
 أبا الزبير لقد رأيت قصائدي
 تشقى بأهات الفؤاد المتعب
 ورأيت في ساحات قلبي زهرة
 ذبلت، وخيمة فرحة لم تُصَب
 لكنني أبصرت عزة أمّتي
 لما رأيتك ثابتاً لم تهرب
 أبا الزبير رأيت قلبك قد هفا
 نحو الخلود إلى الجوار الأطيب
 وخرجت من سجن الحياة وبؤسها
 متوجهاً صوبَ المقام الأرحب
 هذي المدينة ما تزال دموعها
 حيرى فلم تجمد ولم تتصبب
 قالوا لنا: إن الثرى لما رأى
 إشراق وجهك مدّ كفّاً مرحب
 وتضوّعت مسكاً رحاب بطولة
 شهدتك مقداماً عزيز المركب

قالوا: الشهادة، قلت: نيلُ شهادةٍ

وبلوغُها في الله، أعظمُ مطلبٍ

أكرمَ به موتاً يُلاقيه الفتى

بالذكر يلهجُ، والصلاة على النبي

وإذا تعلقت القلوب برُبِّها

فلسوف يغدو الموتُ أعظمَ موكبٍ



كنوز الأجر

الباحة - عراء ١٢/٥/١٤٢٣هـ

«مع حُسْنِ العزاء إلى سلمان بن عبد العزيز في وفاة ابنه أحمد
يرحمه الله».

أدْرِهَا - أبا فهدٍ - على خيرٍ ما يجري

لمثلِكَ مِنْ صِدْقٍ احتسابٍ ومن صَبْرٍ

أدْرِ ذكرياتِ اليومِ والأمسِ، مثلما

يُدارُ شَذَا التَّسْبِيحِ في حِلَقِ الذُّكْرِ

أدْرِهَا على الصَّبْرِ الجميلِ فإنَّه

يُسَكِّنُ مِنْ أحزاننا وهَجَ الجَمْرِ

ألا أحسنَ اللهَ العزاءَ لفاقدٍ

حبيباً، مَحَاهِ الموتُ من صفحةِ العُمُرِ

وجمَّلَ بالإيمانِ والصَّبْرِ والداً

رأى ليلةَ الحزنِ الطويلةَ كالشَّهْرِ

وما هانَ فُقدانُ البنينَ على أبٍ

وكيف تهونُ الشمسُ في نظرِ الفَجْرِ؟

وكيف يَهونُ الفصنُ عند جذوره
وكيف يَهونُ العطرُ في نظر الزَّهرِ؟
نعم، نحن أدري أنَّ للفقدِ لوعةً
وأنَّ فراقَ الابنِ قاصمةُ الظَّهرِ
وأنَّ الأسى يقسو، ولكننا إذا
رأينا ظلامَ الليل يَهزأُ بالبدرِ
لجأنا إلى المولى الكريم لأنَّه
ملأ ذُ قلوبِ النَّاسِ في لحظةِ الذُّعرِ
ألا يا أبا فهدٍ تصبَّر، فإنما
نُخَفِّفُ نيرانَ المَواجِعِ بالصَّبَرِ
مضى نِجْلُكَ الثاني فأبشِرْ برحمةٍ
تُريكَ مقامَ الصَّبَرِ في ساحةِ الحُشْرِ
كأنِّي بمصراعينِ للشُّكرِ أُشْرِعَا
أمامَكَ فادخُلْ منهما رَوْضَةَ الشُّكرِ
وسبِّحْ بحمدِ الله واذكُرْ نعيمَه
وقل: إِنِّي أسَلَمْتُ يا خالقي أمري
ستلقاه غفَّاراً رؤوفاً بخلقه
رحيماً إذا ما الحزنُ جار على الصَّدْرِ

عَزَاءُ جَمِيعِ النَّاسِ فِي الْمَوْتِ، أَنَّهُمْ
يَسِيرُونَ سَيْرَ الْخَاضِعِينَ إِلَى الْقَبْرِ
وَمَا الْكَوْنُ إِلَّا كَالْكِتَابِ، سَطُورُهُ
سُتْمَحَى بِأَمْرِ اللَّهِ، سَطْرًا عَلَى سَطْرٍ
وَمَا نَحْنُ فِي الدُّنْيَا سِوَى أَهْلِ رَحْلَةٍ
مَرَاكِبُنَا فِيهَا بِأَعْمَارِنَا تَسْرِي
رَسْمَنَا خُطَانَا فِي طَرِيقِ قَصِيرَةٍ
تَجَلُّ خُطَا الْمَاضِينَ فِيهَا عَنِ الْحَصْرِ
وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَى جِسْرٍ عَابِرٍ
فَهَلْ نَبْتَغِي أَنْ نَسْتَقَرَّ عَلَى الْجِسْرِ
تَمَيَّزَتِ الدُّنْيَا بِنَقْصِ كِمَالِهَا
وَلَوْ كُمَلَّتْ لِلنَّاسِ دَامَتْ مَدَى الدَّهْرِ
طَبِيعَةُ دُنْيَانَا تَقْلُبُ حَالَهَا
عَلَى كُلِّ مَا نَلْقَى مِنَ الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
وَإِيمَانُنَا بِاللَّهِ إِيْمَانُ أَنْفُسٍ
يُلَاقِي رِضَاهَا مَحَنَةَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
رِضِينَا بِمَا يَقْضِي مِنَ الْبُؤْسِ، مِثْلَمَا
رِضِينَا بِمَا يَقْضِي مِنَ الْأُنْسِ وَالْبِشْرِ

رضينا بما يقضي الإله وإن شكا
 فؤاداً، وإن صارت مدامعنا تجري
 أتينا إلى الدنيا بأمرٍ إلينا
 ونخرج منها - حين نخرج - بالأمر
 إليك - أبا فهدٍ - عزاءٌ تزفُّه
 على صَهَوَاتِ النُّورِ قافيةُ الشُّعرِ
 كأني بصوتٍ مُفْعَمٍ بحنانه
 يقول لنا ما قاله الغيثُ للزَّهرِ:
 ألا أيُّها الإنسانُ بُشراك، إنما
 مصائبُك الكُبرى كنوزٌ من الأجرِ



التوقيع الأخير

الباحة - عراء ١٧/٥/١٤٢٣هـ

قصة وفاة «سلطان بن فيصل بن تركي» - يرحمه الله - صورة من صور القضاء والقدر الذي يكون الإيمان به ركناً من أركان الإيمان ... ينطلق الرجل برأاً من جدة إلى الرياض للمشاركة في تشييع جنازة «أحمد بن سلمان بن عبدالعزيز - يرحمه الله -» ينطلق برأاً مع أن مطار جدة على مرمى قوسٍ منه... لماذا؟ إنه القضاء الإلهي الذي لا يصل إليه علمنا،... هذه القصة أشعلت في قلبي جذوة الشعر فكانت هذه القصيدة، مع العزاء الصادق إلى أهل «سلطان بن فيصل بن تركي» جميعاً.

دعوني أشقُّ الأرضَ أو أمتطي السُّحْبَا

لأطوي في نيلِ الذي أبتغي الدُّرْبَا

أفيضوا على سيَّارتي وَصَفَّ طَائِرِ

يُجَاوِزُ مِنْ هَوْلِ انْطِلَاقَتِهِ السُّرْبَا

وَوَقَّتُ بِهَا، إِنِّي أَرَاهَا جَسْدِيرَةً

بأنَّ تَهَبَ الدُّرْبَ الطَّوِيلَ بِنَا نَهْبَا

فسبحان ربّ الكون سخّرها لنا
 وسبحان ربّ الكون ذلّلها ركّبا
 سأطوي بها البَيْدَاءَ، أدني بها المَدَى
 وأضربُ هذا الأسودَ الملتوي ضَرْباً
 ستعلم «حَوَمِيَّاتُ» نجدُ بآنني
 أنا المُدْلِجُ السَّارِي إذا ما دُعي هبّاً
 وداعاً - حبيبي الصغيرين - إنني
 أرى روضةً فاضت بساتينها خِصْباً
 ولا تقلقي يا أمّ فيـصل، إنني
 سأطوي لتشيع الصديق المَدَى الرَّحْباً
 أرى الأفقَ الشرقيّ مَدّاً ذراعَه
 وقدّم غُصْناً من مشاتله رَطْباً
 سمعتُ نداءً الواجب الحقُّ، إنني
 كـريمٌ إذا ناداه واجبُ به لبيّ
 أريد وصـولاً للرياض، لعلّني
 أودّع فيها راحلاً من ذوي القُرْبَى

سَأَلْتُ حِفَّ اللَّيْلِ الْبَهِيمَ لِأَنَّهُ
جَدِيرٌ بِأَنْ يُضْفِيَ عَلَيَّ بُعْدَنَا قُرْبًا
سَأَطْوِيهِ طَيِّ الْمُدْلَجِينَ إِذَا سَرَوْا
خَفَافًا، وَلَمْ يُرَخُّوا عَلَيَّ نَوْمُهُمْ هُدْبًا
مَضَيْتُ وَكَانَ اللَّيْلُ أَسْوَدَ فَاحِمًا
كَأَنِّي أَرَى وَحْشًا عَلَى أَرْضِنَا انْكَبًا
رَأَيْتُ مُحِيطًا مَظْلَمًا ثَارَ مَوْجُهُ
تَدَفَّقَ مِنْ كُلِّ الْمَنَافِذِ وَانْصَبَّ
كَأَنِّي بِهَذَا اللَّيْلِ قَدْ صَارَ حَائِطًا
طَوِيلًا أَمَامِي، مَا رَأَيْتُ لَهُ نَقْبًا
سَرَّيْتُ عَلَى مَتْنِ الْهَوَاءِ وَرَبَّمَا
تَحَوَّلَ سَيْرُ الْمَرْءِ مِنْ حَرَصِهِ وَثَبًا
لَقَدْ حَانَ وَقْتُ الْفَجْرِ يَا «ظَلَمُ»، هَا هُنَا
أُؤَدِّي صَلَاةَ الْفَجْرِ أَسْتَغْفِرُ الرَّبَّ
سَأَصْرِفُ عَنْ ذَهْنِي هُنَا كُلَّ خَاطِرٍ
يُشِيرُ شَجَوْنَ النَّفْسِ أَوْ يَبْعَثُ الْكَرْبَا

صلاةً، بها تسمو النفوس وترتقي

وتفتح أبواب الصفاء لمن لَبَّى

لماذا أرى سيَّارتي تستفزُّني

وتُشعِّرنِي أَنِي أسيرُ بها غَصْبًا؟

أسيرُ بها شرقاً، وأحسب أنَّها

تسير - من استبطاءِ نفسي لها - غرباً

لماذا يطول الدَّربُ حتَّى كأنني

أخوض بحاراً فيه، أمواجُها غَضَبِي؟

لماذا يكاد القلب يقفز لَهْفَةً

أحزناً على مَنْ فارق الأهل والصُّحْبَا؟

شعورٌ غريبٌ ما شَعَرْتُ بمثله

يلامس مني الرُّوحُ يَسْتَنْبِضُ القلبَا

لماذا أرى في هدأةِ الليل ضجَّةً

وأبصر طفلي الحبيبين قد شبَّأ؟

لماذا أرى أهلي هنا يرمقونني

بأعينٍ عطفٍ زادني عطفُها حُبًّا؟

لماذا أرى الصحراءَ صارت خميلةً
 تُنسِّقُ من حولي حدائقَها الغُلباءَ؟
 لماذا أحسُّ الآنَ أني مـفـفـارقُ
 وأشعرُ أنَّ الحزنَ يُعلنها حرباً؟
 وأسمع صوتاً هامساً يبعث الشُّجَا
 ويسكب في سمعي مناجاته سَكَباً:
 يردُّ يا سلطانُ أهلاً ومرحباً
 فإني أرى في «العودِ» ألتكَ الحَدَبَا
 هنا يعلن الإنسانُ في الأرض عَجْزَه
 ويُصبح سَهْلُ الأمرِ في ذهنه صَعْبَا
 لقد كتب المولى هنا يا ابن فيصلِ
 وإنَّ كتابَ الله لا يُشبهه الكُتُبَا
 قضى ثم أمضى ما يشاء وإنَّما
 يناشده الوجدانُ أن يغفر الذُّنْبَا
 عزائي إلى مَنْ ودَّعتك دموعهم
 ورُبَّ عزاءٍ صادقٍ هوَّن الخطْبَا

أقول لهم: صَبْرًا، فَإِنَّ فَمَيْدَكُمْ

قضى - بعد أن أدى عبادته - نَحْبًا

إذا وَقَعَ الإنسانُ آخِرَ صَفْحَةٍ

من العمر بالتقوى فباركْ له الكَسْبُ



الفهرس

٥	فراقك لا يهون
٩	مات ابنُ بازٍ ...؟
١٥	رحلة بين بوابتين
٢٢	على صدى الفاجعة
٢٦	وقفة أمام عام الحزن
٢٣	تلويحة وداع لشيخ الهند
٤١	ضيوف الله
٤٥	عبارة الموت
٥١	مضى علي
٥٨	أبا عمر الحبيب
٦٢	سرحان
٦٧	أواه يا عبد العزيز
٧٢	هو رامي أو محمد
٧٨	رسالة من بين الحطام
٨٣	رامي
٨٩	شموخ الصابرين
٩٧	رسالة الأشلاء
١٠٠	وداع مرابط في قمم الشيشان
١٠٤	يا فارس الكرسي
١٠٩	قلعة العلم

لطوي
أحمد ياسين

١١٤	مهدي ابن سَحَاب
١٢٤	أَسُود الشيشان
١٢٧	آه يا إيمان
١٣٣	أسد الشيشان
١٤١	صبراً أبا فهد
١٤٧	هاتف الأستاذ
١٥٣	وداع العلم
١٥٥	كيف لم نحزن
١٦١	قطرة مسك من دم شهيد
١٦٦	كنوز الأجر
١٧٠	التوقيع الأخير

نطوي
أحمد ياسين

